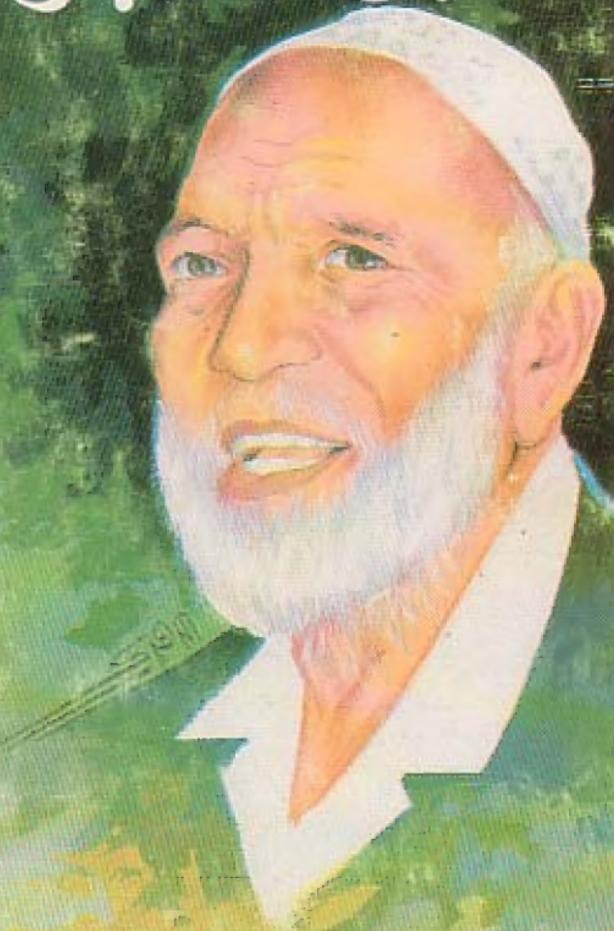


أحمد ديدات

الله سرائر صورة المعجزات



مراجعة: محمود غنيم

ترجمة: على عثمان

مكتبة
ديدات

٢٠

المختاد
الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاه والسلام على رسول الله وعلى
آله وصحابه ومن وآله ومن سار على دربه وعمل
بسنته والتزم بشرعيته إلى يوم الدين

أما بعد فهذا كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد
ديدات عن القرآن الكريم، معجزة الله الخالدة خلود
الدهر، والدليل الدائم القائم على صدق دعوة رسول
الله محمد صلى الله عليه وسلم. وهو يحاول أن يقدم
في هذه العجالة للقاريء الكريم بعض البراهين والأدلة
على هذا الإعجاز وهي كما يقول ليست إلا قطرة من
بحر وقليل من كثير وتحتاج إلى جهد المختصين في
كل فروع العلم والمعرفة للكشف عن المزيد من كنوز
وأسرار هذا الفيض الإلهي المتذوق دائمًا وأبداً بالخير
الوفير وصدق الله العظيم حيث يقول "سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق" ففي

كل زمان جديد تظهر آيات جديدة على إعجاز القرآن.
وكلما تقدم العلم تبين أن القرآن يتقدم عليه، وكلما
حارت الألباب وجدت خلاصها في القرآن وبالقرآن.
وتتأمل هذا الوصف الشامل الجامع للقرآن الكريم الذي
وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الذي رواه عنه على بن أبي طالب رضي الله عنه:

«كتاب الله. فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم،
وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من
جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله
الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو
الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ،
ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا
يخلق على كثرة الرد^(١) ، ولا تنقضى عجائبه، وهو
الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا "إنا سمعنا

(١) أى لا يمل منه الإنسان من كثرة التردد.

قرآنًا عجباً يهدي إلى الرشد" ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم (رواوه الترمذى).

فمع كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد ديدات «القرآن معجزة المعجزات» قطرة من بحر.

محمود غنيم

الفصل الأول

القرآن معجزة المعجزات

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

"قل لئن اجتمعـت الإنسـ والجـنـ عـلـى أـنـ يـأـتـواـ بـمـثـلـ هـذـاـ الـقـرـآنـ لـاـ يـأـتـونـ بـمـثـلـهـ وـلـوـ كـانـ بـعـضـهـمـ لـبـعـضـ (الإسراء: ٨٨) ظهيرا"

ما هي المعجزة؟

أعتقد أنه من الضروري أن يكون لدينا صورة واضحة عن المقصود بالمعجزة. ونورد هنا بعض التعريفات:

- ١ - حدث لا يمكن تفسيره حسب قوانين الطبيعة، يعزى إلى قوة خارقة، أو أنه من صنع الله القادر.
- ٢ - المعجزة هي شخص أو شيء أو حدث يشير الرهبة والرعب المترافق بالإعجاب.
- ٣ - هي فعل فوق طاقة البشر أى يستحيل حدوثه

بشرى.

ومن المنطقى أنه كلما كانت الاستحالات أشد كلما كانت المعجزة أعظم. فعلى سبيل المثال لو أن إنسانا ما لفظ أنفاسه أمام أعيننا وأخرجت له شهادة وفاة بواسطة طبيب مؤهل، وبعد ذلك يأتي رجل له سر روحانى أو قديس فيأمر الجثة أن تنهض، ولدهشة الجميع يقوم الرجل ويمشى، فإننا نسمى ذلك معجزة. لكن إذا حدث هذا البعث من الموت بعد أن ظلت الجثة ميتة لمدة ثلاثة أيام فإن المعجزة تكون أعظم وإذا بعث هذا الميت من قبره بعد عقود من الزمن أو قرون وبعد أن تحملت الجثة وتعفنت ولم يبق منها إلا العظام فسوف تعتبر هذه المعجزة هي الأعظم من بين كل هذه المعجزات.

سمة عامة:

هناك سمة عامة مشتركة لكل النوع الإنسانى منذ

العصور الصحيحة، وهى أنه كلما ظهر رسول أو مرشد من قبل الله لتوجيه حياتهم حسب مشيئة الله وإرادته، فإنهم يطلبون منه أن يأتي بالمعجزات كدليل وبرهان على أنه حقاً مرسلاً من قبل الله وذلك بدلاً من أن يتبعوا رسالته لاقتناعهم بفضائلها وفوائدها لهم.

وعلى سبيل المثال فعندما بدأ المسيح يسوع عليه السلام يدعو قومه بنى إسرائيل إلى إصلاح سلوكياتهم وأن يقلعوا عن التمسك بمجرد الشكليات والطقوس الدينية وأن يتشربوا الروح الحقيقية للشريعة ولتعاليم الله، طالبه شعبه بالمعجزات ليبرهن لهم على صدق دعوته كما هو مسجل في الكتاب المقدس المسيحي.

«حيثند أجاب قوم من الكتبة والفريسين قائلين يا معلم نريد أن نرى آية منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية

يونان النبي»^(١) (متى: ١٢ : ٣٨ - ٣٩)، وبالرغم من أن المسيح عليه السلام رفض في هذه المواجهة إجابتهم إلى طلبهم الذي أرادوا به أن يتحققونه عملياً، فإنه أخذ الكثير من المعجزات كما نعلم ذلك من خلال الانجيل. فالإنجيل مملوء بالأحداث الخارقة التي قام بها الأنبياء بتفويض من الله. وفي الحقيقة فإن كل هذه الآيات والعجائب والمعجزات كانت بقدرة الله سبحانه وتعالى. ولكن حيث أن هذه المعجزات قد تمت خلال عناصر بشرية فإننا نسميها معجزات موسى أو عيسى (عليهما السلام) لأنهما هما اللذان ظهرت على أيديهما هذه المعجزات.

سلوك مستمر

وبعد ستمائة عام من مولد عيسى المسيح عليه السلام ولد محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله في

(١) ماذا كانت آية المسيح الوحيدة التي أعددت للبهود. احصل على نسختك المجانية من كتاب «ماهى معجزة يونان» من المركز الاسلامي بجنوب افريقيا.

مكة بالجزيرة العربية. وعندما بدأ يجهر بالدعوة في سن الأربعين طالبه قومه من مشركي مكة كذلك بنفس الطلب، وهو الإتيان بالمعجزات كما فعل اليهود مع المسيح الذي وعدوا به في كتبهم. نفس الشيء، كأنه كتاب مدرسي مقرر، كما لو أن العرب أخذوها حرفياً عن الكتب المسيحية. التاريخ يكرر نفسه.

«وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه»^(١)
(العنكبوت - ٥٠)

آيات أى آيات تريدون؟

«لقد صاح في تعجبًا معجزات؟ أى معجزات تريدون؟ ألستم أنفسكم هذه المعجزات؟ الله خلقكم وصوركم من طين تافه ألم تكونوا صغاراً ضعافاً؟ ألم تكونوا منذ سنوات قليلة عندما ليس لكم وجود؟

(١) تستخدم في القرآن الكريم دائمًا الكلمة آية بدلًا من معجزة وهي أكثر دلالة على المعنى المراد.

فخلقكم في أحسن هيئه وأعطيكم القوة والتفكير. ألم يجعل في قلوبكم الرحمة والشفقة بالصغير حتى ينمو ويكبر؟ ثم صرتم شيوخا وزحف الشيب إلى رؤوسكم. وتسلل الضعف إلى أجسامكم ثم انهارت قواكم تدريجيا وعدتم إلى العدم مرة أخرى ؟ يقول توماس كارليل «وجعل بينكم مودة ورحمة» هذه الفكرة أثرت في كثيرا. إذا لم يخلق الله في القلوب المودة والرحمة. ماذا سوف يكون الحال بالنسبة للجنس البشري ؟ إنها فكرة مباشرة وعظيمة، لحة في الصميم
لواقع الأمور»

(الأبطال وملحهم في التاريخ) (توماس كارليل).

هذه الفكرة أثرت في كثيرا

هذه الآية «وجعل بينكم مودة ورحمة» أثرت في نفس توماس كارليل كثيرا عندما تمعن فيها من خلال ترجمته الانجليزية وأنا هنا أقدم هذه الآية التي حركت

عاطفته «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون» (الروم - ٢١).

هذه الآية قام بترجمتها كل من يوسف على وهو
مسلم والقس ج، م دويل وهو مسيحي، ن. ج داود
وهو يهودي عراقي. وكلها ترجمات جيدة ولكنها لا
تصل إلى روعة النص الأصلي. وللأسف فإن توماس
كارليل لم ير أيًا من هذه الترجمات لأنهم جميعاً لم
يكونوا قد جاءوا إلى هذا العالم في العصر الذي عاش
فيه توماس كارليل. ولكن كان المتاح لديه في سنة
١٨٤٠ كما قال في صفحة ٨٥ من كتابه مشيراً إلى
ذلك:

«نحن أيضاً نستطيع أن نقرأ القرآن. الترجمة
الإنجليزية التي قام بها جورج سال معروفة أنها واضحة
ومقروءة».

الإساءة كانت هي الدافع

كارليل كان شديد التلطف في الحكم على مواطنه. فقد كانت الدوافع لجورج سال الذي مهد للقيام بترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية موضع شك. لم يكبح سال جماح عدائه لكتاب الإسلام المقدس و يجعله سرا. ففي مقدمته للترجمة التي قام بها في عام ١٧٣٤ جعل من المعروف أن الهدف الواضح له من هذه الترجمة أن يكشف عن هذا الرجل محمد وتزييفه، حيث يسجل.

«من الذي كان يدرك أى خطورة تكمن في مثل هذا التزييف الواضح؟ البروتستانت وحدهم هم الذين يستطيعون مهاجمة القرآن بنجاح . وأنا واثق أن العناية الإلهية ادخلت لهم شرف هزيمته وتدميره ». ثم بدأ العمل في هذه الترجمة المغرضة. و تستطيع أن تحكم بنفسك هل كان جورج سال عادلاً وموضوعياً

حتى بالنسبة لهذه الآية التي حركت مشاعر توماس كارليل؛ فقد ترجم "لتسكنوا إليها" إلى "لكي تتعايشوا معهم على طريق الأزواج" Ye May cohabit with them قارن هذه الترجمة بترجمة المسلم يوسف على أو المسيحي القس ردويل أو اليهودي داود على الترتيب:

"Ye May dwell in Tranquillity with them"

Ye May dwell with them

Ye Maight live in joy with them

لا أعتقد أن جورج سال كان خنزيراً شوفانياً ليصف زوجاتنا رفيقاتنا وقراراتنا على أنهم مخلوقات جنسية. لقد كان فحسب يسر بوعده في الإساءة للإسلام والتي لم يلتفت إليها توماس كارليل فالكلمة العربية التي حرفاها (سال) هي «لتسكنوا» وهي تعنى لتجدوا السلام والسلوى والهدوء. وليس Co-habit والتي تعنى «لتعيشوا معاً في علاقة جنسية

حينما لا يكون زواجا قانونيا» كما جاء في شرح هذه الكلمة في القاموس الجامع المختار (ريدرز وايجست ينiferSal ديكشيناري) كل كلمة في النص الأصلي للقرآن الكريم اختبرت بدقة متناهية وأخذت موضعها بحكمة الله القدير فالكلمات تحمل معانيها من قبل الله وهي معجزة من معجزاته وفيض من روحانية القرآن.

السؤال عن آية

أى آيات؟ إنهم يقصدون بعض الأنواع الخاصة من الآيات أو المعجزات بحسب ماقوليه عليهم عقولهم الفارغة. كل شيء ممكن بالنسبة لقدرة الله. لكن الله لن يساير حماقات الرجال أو يستمع إلى مطالبهم الجوفاء. إن الله يرسل الرسل ليبيّنوا للناس آياته في الخلق وفي الكون ويحذرهم من الاستمرار في العنت والجحود. أليس هذا كافيا؟

اتجاه الناس عامة في طلب المعجزات كالأتي:
في عبارات محددة طلبو من محمد عليه الصلاة
والسلام أن يضع سلم ويصعد فيه إلى السماء ويحضر
كتابا من عند الله وذلك أمام أعينهم «ثم بعد ذلك
يمكن أن نؤمن» كما قالوا أو «هل ترى الجبل القائم
هناك حوله إلى ذهب» أو «فجر لنا الينابيع في
الصحراء عند ذلك يمكن أن نؤمن».

والآن استمع إلى الإجابة المنطقية الهادئة الرقيقة
لمحمد صلى الله عليه وسلم في مواجهة مطالب
المشركين غير العقلانية والدهرية المتلائمة بالريبة «قل
لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا
أقول لكم إنّي ملك إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ قُلْ هَلْ
يُسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»

(الأنعام..٥)

واستمع أيضا إلى إجابة أكثر تحديدا كما أمره الله

ليقولها للمشركين» «قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين».

(العنكبوت . ٥٠)

وفي الآية التالية يشير نبى الله إلى القرآن الكريم على أنه الإجابة والأية الكافية الشافية على طلباتهم المصطنعة المتكلفة للمعجزات التي تشتهيها عقولهم الوثنية الحمقاء. وفي الحقيقة فإن كل المعجزات هي آيات دالة على صدق الرسالة ولكن الجحود للحق الواضح والإلحاد المسيطر على القلوب هو الذى يدفعهم إلى هذه الطلبات. لذلك وجه لهم الله إلى التدبر فى القرآن "أو لم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون" (العنكبوت . ٥١).

دليلان:

كدليل على الإبداع الإلهى، والطبيعة الإعجازية

للقرآن الكريم يقدم الله سبحانه وتعالى لنا دليلين
على صدق الدعوة وأنها من عند الله:

١ - يقول الله تعالى «وكذلك أنزلنا إليك الكتاب
فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من
يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون، وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيسمينك إذا لارتاتب
المبطلون» (العنكبوت ٤٧ - ٤٨).

فالله سبحانه وتعالى يقرر أنه هو الذي أنزل
الكتاب على محمد الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم
يتعلم، مع كل مافيته من الآيات والعلوم والتاريخ
والحكمة والمعرفة وأخبار السابقين واللاحقين، أليس
هذه آية وأليس هذا إعجازاً!

لندع توماس كارليل المفكر الإنجليزي يعطي
شهادته فيما يتعلق بالمؤهلات العلمية لمحمد (صلى
الله عليه وسلم):

«هناك اعتبار آخر يجب ألا نغفله أو ننساه، وهو أنه لم يكن لديه أى تعليم مدرسى مما نسميه التعليم النهجى على الإطلاق». والأكثر من ذلك أن الله جلت قدرته منزل هذا الوحي يشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ليستطيع أن يصنف أو يجمع ما فى هذا القرآن من محتويات، ولا يمكن أن يكون مؤلفه.

«وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون» (العنكبوت - ٤٨). فالله سبحانه وتعالى صاحب الوحي القرآنى يقدم لنا الحجج والبراهين أنه لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً متعلمًا، وكان قادراً على القراءة والكتابة، ففي هذه الحالة فإن الشرثارين في الأسواق يكون لهم بعض العلة في الشك بأن هذا القرآن هو كلمة الله. إذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) رجلاً متعلمًا فإن

اتهامات أعدائه بإحتمال أن يكون قد نسخ كتابه (القرآن) من كتابات اليهود والمسيحيين موضوع نقاش. بل ربما يكون قد درس أرسطو وأفلاطون أو أنه أخذ من التوراة والزبور والإنجيل وأفرغها جميعاً في قالب جديد بلغة جميلة، ربما كان لهذا الكلام بعض الوزن لو كان محمد رجلاً متعلماً ومن ثم يكون المتكلمون بالباطل قد سجلوا نقطة. ولكن حتى هذا الادعاء الركيك قد حيل بينه وبين المنكرين والمتهمين إنها فريه من الصعوبة بمكان أن تعلق بها حتى ذبابة^(١).

٢ - أما الدليل الآخر فهو الكتاب. نعم الكتاب نفسه يحمل دليلاً الذي يبرهن على أنه وحيٌ إلهيٌّ من عند الله. إدرس الكتاب من أي زاوية، تفحص، دق،

(١) لم يترجم الإنجيل إلى اللغة العربية حتى القرن العاشر الميلادي ولذلك فليس هناك أي عربي حتى سنة ١٠٠٠ لـدـيه الفرصة لفحص الكتابات المسيحية الإنجيلية بلغته العربية

أمعن النظر، لماذا لا تأخذ تحدي الله للبشرية بأن
يأتوا بمثله مأخذ الجد إذا كانت شكوكك لها ما يبررها ؟
"أفلا يتذمرون القرآن ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (النساء: ٨٢)

إتساق القرآن

لا يستطيع إنسان أن يتصور أن مؤلفا بشريا
يظل مستقرا على تعاليمه وتبشيره لأكثر من عقدين
من الزمان. منذ أن كان في الأربعين من عمره - عندما
تلقي محمد صلى الله عليه وسلم النداء الأول من
السماء . وحتى بلغ الثالثة والستين من عمره عندما
صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها - أى لمدة ثلاثة
وعشرين سنة - والرسول الكريم يطبق الإسلام ويدعو
إليه. وخلال هذه الثلاثة والعشرون سنة مر خلال أكثر
الظروف المتقلبة تعارضًا في حياته. أى رجل في أثناء
مراحل رسالته بهذه ستتجبره الظروف لعمل تغييرات أو

تعديلات أساسية ولا يستطيع إلا أن يناقض نفسه.
لا يستطيع أحد أن يقول نفس الشيء دائمًا كما في
رسالة القرآن الكريم المتسبة والمنسجمة دائمًا مع نفسها
من أولها إلى آخرها.

أم أن اعتراضات المكذبين هي مجرد جدال يتصف
بالجموح والتمرد ضد هداية أرحب ونور أسطع وعدالة
أكثر؟

والأكثر من ذلك فالقرآن الكريم يحوى ويدرك
معلومات كثيرة عن طبيعة الكون والتي لم تكن
معروفة للإنسان من قبل والتي أكدتها بعد ذلك تطور
الاكتشافات العلمية الحديثة تباعاً وبطريقة قاطعة.
وفي مجال الظواهر الكونية، كان من المؤكد أن يقع
عقل رجل أعمى غير مثقف في الكثير من الأخطاء
الشديدة، ويضيع وهو يخمن بين متناقضاتها
الموحشة. ولكنه وحى الله العليم القدير وليس

قدراته البشرية المحدودة.

معجزة في حد ذاته

المرة بعد المرة عندما كانت تطلب المعجزات من نبى الله من أولئك النفر من المتهكمين والمستهتررين كان يشير الى القرآن رسالة السماء ومعجزة السماء. «معجزة المعجزات». العقلاء من الرجال ذووا النفوس والقلوب الحية، الذين كانوا صادقين مع أنفسهم وصادف القرآن نورا فى قلوبهم وشفافية فى أرواحهم عرفوا الحق فقبلوه. فكان القرآن لهم معجزة الله الخالصة يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

"بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون" (العنكبوت - ٤٩)

الفصل الثاني

الوحى القرآنى والعلم

عبارات الثناء بعيداً عن المقد

يوجد اليوم فى العالم أكثر من ألف مليون مسلم يتقبلون القرآن الكريم بلا تردد على أنه معجزة الله وكلمته.

ولم لا يفعلون ونحن نرى حتى الأعداء المعروفين للإسلام يكيلون عبارات الثناء من تلقاء أنفسهم فيما يتعلق بالطبيعة الإعجازية لهذا الكتاب الإلهي. يقول القس دريف بوسورث سميث في كتابه محمد والمحمدية^(١) عن رأيه في القرآن الكريم:

أ - «معجزة في النقاء وفي الأسلوب وفي الحكمة وفي الصدق».

وكاتب إنجليزي آخر أ. ج آربرى في مقدمة

(١) لا يوجد شيء اسمه المحمدية أو المحمديين ولكن الإسلام والمسلمين.

ترجمته الانجليزية للقرآن الكريم يقول:

ب - «كلما سمعت القرآن يتلى أحسست كأنما
أسمع إلى موسيقى ومن خلال اللحن المتدايق يوجد
سبر الأغوار ايقاع مستمر في اصرار كأنه دقات
الطلب. انه كدقات قلبي».

من هذه الكلمات وبقية كلمات المقدمة يبدو آريرى
كأنه مسلم ولكنه مع شديد الأسف مات خارج نطاق
الإسلام.

وكاتب بريطانى آخر مارمادوك بيكتول يصف فى
مقدمة ترجمته الانجليزية للقرآن شعوره حين سمع
القرآن فيقول:

ج - «هذه السيمفونية الفريدة. كل صوت فيها
يحرك في الإنسان الوجد والدموع».

هذا الكاتب اعتنق الإسلام قبل أن يترجم القرآن
ولسنا هنا في مجال التتحقق ما إذا كان قد أحس بهذا

الشعور قبل أو بعد أن يتحول إلى الإسلام.

د - «بعد الإنجيل مباشرة^(١) يعتبر (القرآن) أكثر الكتب الدينية توقيراً وقوة» (ج كريستى ويلسون فى كتابه تعريف بالاسلام - نيويورك . ١٩٥٠).

هـ - «القرآن هو إنجيل المحمدية وهو أكثر توقيرا من أي كتاب مقدس آخر سوا العهد القديم اليهودي أو العهد الجديد المسيحي» (چ شلیدی، د. د فى كتابه السيد المسيح فى القرآن) سنة ١٩١٣ ص ١١١.

نحن نستطيع بسهولة اضافة عشرات أخرى من عبارات الثناء الى القائمة السابقة. الأصدقاء والخصوم على السواء يكيلان المديح دون حقد للوحى الإلهي النهائى والأخير «القرآن الكريم». المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم رأوا فى جماله وجلاله، ونبيل دعوته ورحابة رسالته، آية ومعجزة من صنع الله

(١١) كلمات ناقد مسيحي للاسلام وسوف لا تعلق على وصعه القرآن في المرتبة الثانية.

سبحانه وتعالى ودخلوا في الإسلام. المتشككون والماديون سوف يقولون عن كل هذا الثناء وكل هذه الشهادات أنها مشاعر ذاتية. بل يمكن أن يبحث عن مهرب في ادعاء أنه لا يعرف العربية. يمكن أيضاً أن نسمعه يقول «أنا لا أرى ماتراه ولا أحس بما تحس به كيف يمكنني أن أعرف أن الله موجود وأنه هو الذي أوحى بهذه الرسالة الجميلة إلى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم (القرآن)؟» ويستمر في يقول «أنا لست كاره لفلسفته الجميلة ولا لآدابه العملية وروحانيته العالية. إنني مستعد للتسليم بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان رجلاً مخلصاً وأعطيه أنساً عظيمة لسعادة البشرية ولكن الذي لا أستطيع أن أسلم به هو لماذا تدعون أنتم المسلمين أن هناك سلطة علوية هي التي تملئ عليه الأوامر؟».

منطق له أسبابه

مثل هذا النوع من التفكير المتعاطف مع تعاليم

الاسلام ولكن متشكك عقليا في مصدره. فإن منزل القرآن (الله) سبحانه وتعالى استخدم أنواعا مختلفة من البراهين لإزالة هذا الشك. فبالنسبة للملحدين واللادرين والشاكرين الذين شقفوا ثقافة علمية عالية ويعتبرون أنفسهم عمالقة الفكر - وهم في الحقيقة أقزام ناقصو النمو - إنهم مثل قزم اكتسب نموا غير عادي في أحد الاتجاهات الخاصة على حساب الأجزاء الأخرى من قدراته الشخصية أو الجسدية. كرؤس ضخم مثلا على جسم ضئيل. والخلق الأعظم يسألهم سؤالا. ولكن قبل أن نطرح سؤال الله عليهم دعني أشبع فضولى وأقول لهم «أنتم يا رجال العلم الذين درستم علوم الفلك ودرستم الكون الخارجي من خلال المنظار الكبير والذى يجعلها واضحة كأنكم تفحصون شيئا في راحة يدكم، هل لكم أن تخبرونى كيف كانت بداية هذا العالم؟ رجل العلم هذا بالرغم من

أنه يفتقر إلى الناحية الروحية فإنه أكثر كرما في المشاركة بمعلوماته. سوف يلبي في الحال: «حسناً لقد بدأ منذ ملايين السنين حيث كان هذا العالم كتلة واحدة من المادة ثم حدث انشطار كبير في مركز هذه الكتلة الضخمة من المادة. وبدأت أجزاء هذه الكتلة تتناثر في جميع الاتجاهات. من هذا الانشطار الكبير تكونت مجموعتنا الشمسية وكذلك بقية المجموعات الشمسية والجرارات. ومنذ ذلك التاريخ لم يحدث أي اضطراب أو تغيير في الكون لهذا الزخم الأصلي الناتج عن هذا الانفجار الأولى وظلت النجوم والكواكب تسبح في الفضاء كل في مداره الخاص به.

وعند هذه النقطة داعبتني الذاكرة فأصحابنا الماديون يبدو أنهم استقوا معلوماتهم هذه سراً من سورة ياسين.

«والشمس تجري لستقر لها ذلك تقدير العزيز

العلم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون» (ياسين:
٤٠: ٣٨).

العالم الملحد يستمر فيقول: «عالمنا عالم متعدد،
الأجرام السماوية الأخرى تبتعد عنا بمعدل متزايد
سيصل في وقت ما إلى معدل سرعة الضوء». وعند
ذلك سوف لا يكون في استطاعتنا رؤيتها مرة أخرى.
يجب علينا أن ننشئ تلسكوبات أكبر وأقوى بأسرع
ما يمكننا لدراسة هذه المجرات. وإلا فقدنا الاتصال بها
نهاياً. نحن نسأل: «متى استطعتم اكتشاف هذه
الحكايات الخرافية؟».

ولكن صاحبنا يؤكد «هذه ليست حكايات خرافية.
إنها حقائق علمية» ونحن نجيب «حسناً فنحن نتقبل
الحقائق العلمية التي ذكرتها ولكن قل لنا حقيقة متى

عشرتم على هذه الحقائق؟» وهو يجيب «بالأمس فقط». على كل حال فخمسون سنة تعتبر بالأمس في عرف التاريخ الإنساني.

عربي غير متعلم أمى عاش فى الصحراء منذ ١٤٠٠ سنة هل يمكن أن يكون لديه أى معلومات عن هذا الانفجار الكبير أو عن عالمك الذى يتمدد؟ هل يمكن أن يخبرنا من تلقا نفسه شيء من ذلك وهو يجيب فى سرعة وحسم «لا أبدا».

«حسناً» إذا فلتتصغى إلى ماتفوه به هذا النبي الأمى من تلقين الوحي:
"أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" (الأنبياء - ٣٠)

"وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون" (الأنبياء ٣٣)

نظريّة الانشطار الكبير:

أَلسْت ترى معي أنَّ كُلِمة (الذين كفروا) في الآية السابقة هي وصف لكم أنتم أيها العلماء والجغرافيون والفلكيون. لأنكم بعد أن قمتم بهذه الاكتشافات المدهشة وقد متموها للإنسانية لازلتם عمياناً لا ترون خالقها؟

يقول توماس كارليل «مع علومنا ودواتر معارفنا فنحن عرضة لأن ننسى الخالق في معاملنا هذه». كيف يمكن لراكب جمل في الصحراء أن يلتقط اكتشافاتكم هذه منذ ١٤٠٠ سنة إلا من عند صاحب الانشطار الكبير نفسه؟

أصل الحياة

«وأنت يا علماء علوم الحياة (البيولوجيين) ويامن تبدون أنكم وضعتم أصابعكم على أصل الحياة العضوية ومع ذلك تخاطرون بإنكار موجد أصل هذه

الحياة أعني الله.. أخبروني تبعاً لأبحاثكم المزدهرة
كيف وأين بدأت الحياة؟». مثل زميله في العلم
ـ الفلكي الملحد ـ يقول أيضاً «حسناً منذ بلايين
السنين تكونت مادة الخلية الأولى في البحر من تولد
البروتوبلاست والتي جاءت منها الأميبا ومن هذه
الحمة في البحر جاءت كل الأحياء. بكلمة واحدة فإن
الحياة كلها نشأت من البحر، يعني الماء».
وأنا أسأل «متى اكتشفتم هذه الحقيقة، أن كل
الكائنات الحية أصلها من الماء؟» والإجابة لا تختلف
عن زميله العالم الفلكي «بالأمس».
وأنا أسأل «هل يمكن لعالم أو فيلسوف أو شاعر أن
يخمن اكتشافكم البيولوجي هذا من أربعة عشر قرناً
 مضت. هل يستطيع؟» وهو يجيب «لا أبداً».
«حسناً إذاً فاستمع إلى ابن الصحراء الأمي!
ـ وجعلنا من الماء كل شيء حتى أفلأ يؤمنون»
ـ (الأنبياء - ٣٠).

والآية السابقة فصلت في موضع آخر من كتاب الله "والله خلق كل دابة من ما، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قادر" (سورة النور - ٤٥)

ليس من الصعب عليكم أن تلاحظوا أن هذه الكلمات من خالق الكون القدير العليم هي موجهة إليكم أنتم رجال العلم كرد على المذهب الارتباطي اليوم. الأهمية الحقيقة لهذه الكلمات تتجاوز مكان الصحراء منذ ألف وأربعين ألف عام. الله القدير بهذه الكلمات يخاطبكم أنتم يارجال العلم كيف لا تؤمنون بالله؟ يجب أن تكونوا آخر من ينكر وجوده ولكنكم أول من يفعل ذلك! ماذا دهاكم لكي تسمحوا لغوركم كى يغشى أبصاركم عن رؤية الحقائق المنطقية الجلية في مجال علمكم؟

ولعلماء النبات وعلماء الحيوان وعلماء الطبيعة الذين يهينون نفاذ بصيرتهم المذهل في طبيعة الأشياء برفضهم الاعتراف بالإله الخالق. دعهم إذن يفسرون مانطق به محمد صلى الله عليه وسلم الناطق بوحي من الله:

"سبحان الذي خلق الأزواج كلها ما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون" (يس - ٣٦)
(خلق الأزواج كلها) إن الطبيعة أو النظام أو السر الجنسي يجري على كل المخلوقات، في الإنسان والحيوان والنبات وأشياء أخرى لازلنا نجهلها. إذن هناك أزواج من القوى المتعاكسة في الطبيعة مثل الكهرباء الموجبة والسلبية. الذرة نفسها تتكون من شحنات موجبة في النواة وهي البروتونات وشحنات سالبة تحيط بها في مدارات وهي الإلكترونات. تكوين المادة نفسها يشير إلى وجود زوجين من الطاقات

المتعاكسة» (تعليق يوسف على).

آيات الله:

آيات هذا الكتاب الواضح السهل (القرآن الكريم) تقيم من نفسها شاهدا ذاتيا على صحتها. والمتبعون للقرآن يرون آيات الله في كل اكتشاف يصل إليه الإنسان. هذه هي آيات ومعجزات الله الرحيم العزيز لزييل الشك ويشتت الإيمان.

"إن في ذلك لآيات للعالمين" (الروم - ٤٢)
يا لقوة التعبير "العالمين" أي العلماء والذين هم في الحقيقة متمردون عصاة فقد ملأتهم معرفتهم المادية الضخمة بالزهو والغرور إنهم يفتقرن إلى التواضع الحقيقي الذي ذهب في الواقع مع المعرفة الحقيقية.

من كلمات كاتب فرنسي حديث

«هذه الملاحظات السابقة (يقصد التي أوردها في الصفحات السابقة من كتابه) تجعل من تقدم الفرضية

الظنية لؤلئك الذين يرون أن محمدا هو مؤلف القرآن شيئاً يتذرع الدفاع عنه. كيف يمكن لإنسان غير متعلم أن يصبح أهم مؤلف في ميدان الجداره والأهلية والتفوق اتفاقاً من بين كل من كتب وألف في الثقافة العربية؟

كيف يمكن أن ينطق بحقائق في العلوم الطبيعية التي لم يكن هناك إنسان يعرف عنها شيئاً في هذا الوقت وكل ذلك بدون أدنى خطأ فيما قاله في هذا الشأن؟».

(كتاب نظرات في الإنجيل والقرآن والعلم ص ١٢٥) للمؤلف الفرنسي موريس بوكاو
الإلهام المبكر

لقد وضع بذور هذا الكتاب - القرآن معجزة المعجزات - سفير الإسلام المتجول والملقب بالخطيب ذو اللسان الفضي مولانا عبدالعزيز صديق. كنت لا أزال

طالبا حينما زار جنوب أفريقيا كمحاضر متوجول في سنة ١٩٣٤. وخلال محاضرته القيمة الشريعة بالمعرفة سمعته يتحدث في موضوع «إنشاء وتعهد المسلمين للعلوم». وفيما بعد أصدر «اتحاد المراكز الإسلامية بکراتشی بپاکستان» كتيبا في نفس الموضوع مما أعاد إلى البهجة والإثارة التي أحدثها لى سماعي لها الأول في صبای المبكر. وما علق بذاكرتى مما قاله هذا الخادم العظيم للإسلام أقدم هنا للأجيال القادمة كلها قليل من الكلمات التي قالها مولانا في العلاقة بين القرآن الكريم وسائر فروع المعرفة العلمية:

القرآن يحضر على تعلم العلوم

الحضور المستمر للقرآن الكريم على دراسة العلوم الكونية هو ظاهرة منفردة بين كل الكتب الدينية في كل العالم فهو يوجه انتباها باللحاج إلى التعمق في معرفة الظواهر الطبيعية المختلفة التي تدور حولنا.

والإلحاح على هذه الموضوعات يحث المسلمين على أن متابعة هذه العلوم هي واجبات دينية في حقهم. إن هذا التكرار هو تأكيد للحقيقة الكبرى، والغير معروفة لعالم ما قبل القرآن، وهو أن كل شيء في الطبيعة مسخر لخدمة الإنسان ويجب أن يستخدمه لخدمته ومصلحته. إنه يحثنا على أن ندرس تركيب ووظائف أعضاء الجسم البشري، وتركيب ووظائف أعضاء وتصنيف الحيوان، وشكل وتركيب ووظائف أعضاء وتقسيم وتصنيف النباتات، وهي مسائل علم الحياة والأحياء.

وهو يحثنا على دراسة تفسير النظم الطبيعية والخواص العامة للمادة عند تأثير الطاقة عليها وهي مسائل علم الطبيعة.

ويحثنا على دراسة خواص جوهر المادة سواء كانت عنصراً أو مركباً والقوانين الخاصة باتحادها وتفاعل كل

منها مع الآخر. وهى مسائل علم الكيمياء.
وهو يحثنا على دراسة التركيب المعدنى للكرة الأرضية وطبقاتها المختلفة والتغيرات التى تحدث فى مكوناتها العضوية وغير العضوية وهى مسائل علم الجيولوجيا.

وهو يحثنا على دراسة الوصف العام للكرة الأرضية، وتقسيماتها الطبيعية من بحار وأنهار وجبال وسهول، والمعادن والنباتات والحيوانات على الأرض، وأقسامها السياسية وهى مسائل علم الجغرافيا.

وهو يحثنا على دراسة أسباب ظاهرة حدوث الليل والنهار واختلاف الفصول، وحركة الكواكب والظواهر الكونية الأخرى، وهى مسائل علم الفلك.

وهو يحثنا على دراسة حركة الرياح وتكون السحاب وسقوط الأمطار والظواهر الأخرى المماثلة

وهذه ليست إلا موضوعات علم الأرصاد الجوية.
لقرنون عدة كان المسلمون هم قادة العالم في حقل
المعرفة العلمية. ثم تدريجياً بدأت هذه القيادة تخرج
من أيديهم. تراجع المسلمين عن مهمة القيام بهذه
القيادة، وتقدم الأوروبيون الماديون ملء هذا الفراغ لهذه
القيادة والتي أوجدها المسلمون.

وعلاوة على ما تقدم فقد سجل مولانا الشيخ
عبدالعليم مآثر ومساعي المسلمين في هذا المجال
فقال:

إن الثورة العلمية التي فجرها الإسلام كانت عملاقة
فلم يترك المسلمون ناحية واحدة من نواحي العلوم إلا
وطرقوها ووصلوا فيها إلى مكانة عالية مرموقه.

وفي الحقيقة فإن الإسلام يهدف إلى جعل المجتمع
الإسلامي مجتمع فكر وثقافة. ووضع بذور العلم،
وسائل فنون المعرفة، يعتبر هدفاً رئيسياً للإسلام.

ولولا المسلمين لما عرفت أوروبا طريقها إلى عصر النهضة الأوربية ولما بزغ فجر النهضة العلمية الحديثة. إن الأمم التي أخذت معرفتها العلمية من أوروبا هي في الحقيقة أخذتها بطريق غير مباشر من المجتمعات الإسلامية والانسانية كلها مدينة للإسلام بدین لا تستطيع أن توفيده ويجعل لا تقدر على نسيانه». الخطيب ذو اللسان الفضي (مولانا) اختتم شرحه التفسيري الرائع لموضوع «المسلمون هم الذين وضعوا بذور العلم» بهذه الكلمات. «قبل أن أصل إلى ختام هذه الكلمات دعونى أؤكد مرة أخرى أن المجتمع الإسلامي هو الذي يمثل الإسلام بمعنى الكلمة وهو بدوره وحدها إلهيًا. والذى يكون شخصية المسلم هو الإيمان والعمل معاً، لقد وضعها الإسلام كواجب من واجبات الدين أن يبحث المسلم في حقيقة الأشياء المحيطة به. لأن بحث المسلم العلمي في معرفة

الخلوقات يؤدى إلى زيادة المعرفة والإيمان بالخالق.
والبحث العلمي في الإسلام لا يمثل هدفاً نهائياً في
حد ذاته ولكنه وسيلة لغاية أعظم وهي في الحقيقة
الهدف الأسمى الحقيقي للإنسانية. «إنا لله وإنا إليه
راجعون» (البقرة ١٥٦)

محاضرتي التي أجهضت

لقد كان لي شرف سماع هذه المحاضرة السابقة سنة
١٩٣٤ من شفتى الأستاذ نفسه وفي أواخر
الثلاثينيات حصلت على المحاضرات في صورة كتاب
في يدي. فتذكرة مافيها وكان قد أضيف اليه بعض
الملاحظات والتعديلات، وكنت في هذا الوقت أعمل
في محل لأحد المسلمين في مركز آدم التبشيري وكانت
لا أزال متحمساً لدرجة أنني وضعت الترتيبات مع
كلية آدم لأن الحديث مع التلاميذ والمحاضرين في نفس
هذا الموضوع. في هذا الوقت لم يكن لدى الإحساس

الكامل بفداحة ما أنسى القيام به، ولكنني لم أعرف أبداً على وجه اليقين ما الذي حدث لكي يأتي رئيسى فى العمل لينقذنى على حد قوله. لقد هددنى بطردى إذا لم أتراجع عن أول محاضرة عامة لي. واستسلمت فى أول الأمر ولكنى حنثت بوعدى بعد ذلك خلال سنوات عمرى التالية. لقد كان مستخدمنى يجهل دون شك تحذير الله وكذلك كنت أنا أيضاً لا أستطيع أن أقول الآن ما هو الموقف الذى كنت سأتخذه لو كنت أعلم قول الله تعالى "قل إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشبertyكم وأموال اقترفت بها وتجارة تخشون كсадها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجihad فى سبيله فتريصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين" (التوبه - ٢٤).

شكراً (؟) لأنى الرعديد مخلوع الفؤاد الذى جعل محاضرتى الأولى للمبشرين المسيحيين والقسسين المتدربيين - والتى اجتهدت فى الإعداد لها وحفظها

والتدريب عليها تحبط. ومنذ ذلك الحين توقفت عشر سنوات في مجال الدعوة العامة. هناك ملايين من المسلمين مثل رئيس المسلم الذين يصابون بالرعب خوفا على المكاسب المادية التي ذكرت في الآية السابقة وهم لا يقومون بواجبهم في توصيل الدعوة الإسلامية فحسب بل يعترضون طريق أولئك الذين لديهم الاستعداد للقيام بهذا العمل. إنهم يبدون وهم يحملون أعظم رسالة كأنهم بلافائدة. الله سبحانه وتعالى وصف هؤلاء بأنهم «فاسدون آثمون».

الارتفاع إلى مستوى المسؤولية

في الحديث السابق لمولانا الشيخ عبدالعزيز شد انتباها إلى أن القرآن الكريم يحثنا على التعمق في علوم الأحياء والطبيعة والكيمياء وطبقات الأرض والأرصاد الجوية إلى آخر هذه العلوم. والدارسون مثل موريس بوكاو وكيث مور والشيخ زندانى كتبوا عن وجود علمية مختلفة في القرآن الكريم في الأزمنة

المحدثة ولكن المجال لايزال واسعا فالقرآن الكريم بحر من المعرفة. يجب على العلماء المسلمين المتخصصين أن يرتفعوا إلى مستوى المسؤولية التي ألمح إليها مولانا في منتصف الثلاثينيات. وليس عليهم أن يكافحوا في كل مجال بل كل في مجال تخصصه. شباب الإسلام متلهف إلى المعلومات والمقالات وكتيبات صغيرة في الموضوعات العلمية المختلفة لإرضاء شهيتهم. ويمكن أن تكون هناك دائرة معارف بعد ذلك إن شاء الله.

وليس على أن أعذر لتركي شرح الموضوعات العلمية في القرآن الكريم للعلماء المسلمين حيث أنني غير متخصص. ولكن إذا لم يتقدم أحد من المسلمين ليشرح لنا كنوز الحكمة المدخرة التي يزخر بها القرآن الكريم فبأنني من جهتي وكشخص عادي غير متخصص في العلم سوف أشارك معكم الطبيعة الإعجازية في القرآن كما تظهر لي في الحقائق البسيطة والعادية.

الفصل الثالث

القرآن فريد في صياغته

بين كل الآداب الدينية الموجودة في العالم فإن القرآن الكريم كتاب فريد بصورة مطلقة. صياغته وحفظه معجزتان. لأنه يعلو على النمط البشري العادي في الكلام. قصار النظر والمتخذين موقفا عدائيا يقولون أنه مفكك ومتقطع ولكنه نموذج مختلف على نحو محدد فريد ومعجز. دعني أعطي بعض الأمثلة المحسوسة لما أقول:

كل الكتب الدينية تبدأ بعبارة على نمط «حدث ذات مرة» أو «الشلب والعنب.. أو الذئب والغنم» إلى آخر هذه التعبيرات

١ - أ. في البداية (حدث ذات مرة) الرب خلق السماوات والأرض (سفر التكوين ١:١ الكتاب المقدس)

ب - في البداية (حدث ذات مرة) كانت الكلمة والكلمة كانت مع الرب والكلمة كانت الرب (انجيل يوحنا 1:1 الكتاب المقدس)

ج - هذه هي بداية النسب (الأصل - البداية) الذي يخص عيسى المسيح بن داود بن ابراهيم (انجيل متى 1:1 الكتاب المقدس)

٢ - الآن بعد موت موسى عبدالرب حدث أن (حدث ذات مرة) الرب تحدث إلى يوشع (يوشع 1:1 الكتاب المقدس)

٣ - الآن بعد موت يوشع حدث أن (حدث ذات مرة) بنى اسرائيل سألوا الرب (سفر القضاة 1:1 الكتاب المقدس)

٤ - حدث في الأيام (حدث ذات مرة) عندما حكم القضاة مجاعة في الأرض (سفر راغوث 1:1 الكتاب المقدس)

٥- الآن كان هناك رجل محدد (حدث ذات مرة)
من راماتام جوثيم من جبل افرايم (صموئيل الأول
١:١ الكتاب المقدس)

٦- حدث (حدث ذات مرة) بعد موت شاول
(صموئيل الثاني ١:١ الكتاب المقدس)

٧- الآن (حدث ذات مرة) الملك دافيد أصبح كهلاً
(أصيب ببرد) وطاعنا في السن غطوه بالملابس ولكنه
لم يكتسب أي حرارة (الملوك الأول ١:١ الكتاب
المقدس)

٨- الآن (حدث ذات مرة) في السنة الأولى
لكسرى ملك الفرس (عزرا ١:١ الكتاب المقدس)

٩- الآن حدث (حدث ذات مرة) في أيام الأشوريين
(سفر سيمر ١:١ الكتاب المقدس)

١٠- الآن حدث (حدث ذات مرة) في السنة
الثلاثين في الشهر الرابع في يومه الخامس (سفر

حقيقيل ١: الكتاب المقدس)

إذا لم تريك هذه الأمثلة وتحيرك فلن يوجد شيء آخر يمكن أن يفعل ذلك.

لابد أنك حتماً اصطدمت بعبارة «ذات مرة» هذه المتزامنة. لاشك أنك تعرف ولع الإنسان بحكاية القصص. الطريقة والنمط وطريقة السرد هي ما تحدث عنه. إنها تبين كيف يفكر الإنسان وكيف يتكلم وكيف يكتب ولا لوم عليهم في ذلك فالإنسان هو الإنسان.

كل الاقتباسات السابقة هي من نسخة الملك جيمس وهي الأكثر شيوعاً بين كل مسيحيي العالم. لابد أنك لاحظت أن كل الآيات في الاقتباسات السابقة هي ١:١ ، وهذا معناه أنها الإصلاح الأول والآية الأولى من كل كتاب من الكتاب المقدس والذي يبدأ دائماً بكلمة الآن، الآن، الآن، جرب بنفسك وشاهد كم

عدد البدايات المشابهة التي سوف تجدها، لابد على أى حال أن أنبئك أن فهرست الكتاب المقدس سوف لا يساعدك، يجب أن تر خلال صفحات الإنجيل بنفس الطريقة التي اتبعتها أنا فى ذلك.

الفهارس لا تساعد

أنا أشير بفهرين. الفهرس الذى أصدرته جماعة شهدو جيهوفا وهى أسرع الطوائف نموا فى العالم المسيحى، والثانى هو فهرس يانج التحليلي للإنجيل كل الفهرين يعترض بأنه يحتوى على مادة والأخير يحتوى على ما لا يقل عن ٢٧٧ مرة كلمة الآن، لا أريد أن أحملك مزيدا من الصبر أعلم أنك تريد أن تقدم نحو الموضوع الرئيسى لإعجاز القرآن . أنت تقول حسنا .. أرجو أن تخبرنا عن قصتك حول الوحي القرآنى !

«لقد كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان

حيث كان محمد نبى الإسلام (صلى الله عليه وسلم) فى غار حراء من ضواحي مدينة مكة. كان معتادا على الاختلاء بنفسه فى غار حراء من ضوضاء المدينة وأهلها للتأمل فى هدوء وسلام. كان قلقا بسبب مشاكل قومه من سكر وفجور ووثنية وحروب وفوارق طبقية ظالمة وقاسية. كانت هذه الجرائم والآثام من الضخامة لدرجة أن جيبون أستاذ التاريخ كان مضطرا لأن يقول فى كتابه «انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية»:

«الإنسان العربي الوحشى كان يعيش غالبا بدون إحساس، فقير فى أى مميزات تجعله مختلفا عن بقية المخلوقات الحيوانية». المتنسك فى عار حراء كان يتوق إلى حل. وكان نزاعا إلى الاختلاء فى معتزله غالبا بمفرده وأحيانا مع زوجته العزيزة أم المؤمنين السيدة خديجة.

الهاتف الأول

فى أحد الليالي.. وهى ليلة القدر - ليلة خير من ألف شهر عندما تنزل رحمة الله على الخلائق وتنتعلق الأرواح بربها. فى منتصف هذه الليلة فتح كتاب الله للروح المتعطشة. جبريل، ملاك من عند الله ظهر له وأمره بلغته العربية «إقرأ». أحس محمد بالخوف والرعبة ولم يكن مستعداً لهذه الصدمة فلم يكن هناك تدرجاً فى ظهور الوحي له وفى خوف ورعب صاح قائلًا ما أنا بقارىء وأعاد الملاك أمره «إقرأ» للمرة الثانية وأجاب محمد صلى الله عليه وسلم بنفس الإجابة. وضمه جبريل بقوة وأمره للمرة الثالثة:

"إقرأ باسم ربك الذي خلق"

وتحقق محمد صلى الله عليه وسلم من أن المطلوب منه أن يفعله هو أن يكرر ما يقال له لأن الكلمة العربية إقرأ تعنى إقرأ واتلو وكسر، وأتبع هذه الآية السابقة وهى الأولى من سورة العلق (سورة رقم ٩٦)

من القرآن الكريم) بأربع آيات أخرى تلها على محمد
صلى الله عليه وسلم في الوحي الأول ومن ثم هي
مسجلة هنا ومكتوبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - إقرأ باسم ربك الذي خلق

٢ - خلق الإنسان من علq

٣ - إقرأ وربك الأكرم

٤ - الذي علم بالقلم

٥ - علم الإنسان مالم يعلم

أمسك يا سيد ديدات، كل هذا الذي تخبرنا به عن
وحيك القرآن لا يختلف عن أمثلتك العديدة الأخرى
التي أوردتها لتبرهن على أن يد الإنسان تدخلت
فيها.

تماماً أنا سعيد لأنك رأيت بوضوح كيف يفكر عقل
الإنسان المتعلق دائماً بالفاعل وكيف يتكلم ويسجل.

منذ اللحظة التي سألتني فيها.. من فضلك أخبرنا
عن قصتك عن وحيك القرآن ويدأت أجيب:
«إنه كان في ليلة السابع والعشرين من شهر
رمضان» الى أن قلت ومن ثم هاهى مسجلة
 هنا ومكتوبة فقد عرفت أن كلماتى مقتبسة من
 القرآن الكريم ومن كتب الحديث الشريف والتاريخ
 ومن أنفواه العلماء والذى سمعتها خلال سنوات
 حياتى. فالقرآن الكريم لم تعبث به أيدي الرجال. وهذا
 هو المقصود بأنه كتاب محفوظ.

فريد فى صياغته

كل نصوص القرآن سواء كانت عربية أو مترجمة
 إلى أي لغة ستكون على نفس النمط.. لا يوجد فيها
 إذا كان أو لكن. لن تجد في النص الأصلي أو الترجمة
 أن محمد (صلى الله عليه وسلم) «كان سنه أربعين
 سنة عندما تلقى الوحي الأول» لن تجد «كان في غار

حراً» لن تجد.. رأى الملائكة جبريل أو «هو كان خائفاً أو كيف تصرف أو أجاب على الأمر «إقرأ» أو عندما انصرف الملائكة بعد أن أكمل الآيات «محمد جرى إلى منزله ثلاثة أميال جنوباً نحو مكة إلى زوجته العزيزة خديجة وروى لها ما حادث وسألها أن تغطيه، وأن تغطيه. كل هذا هو ما أسميه طريقة «حدث ذات مرة».

سرد القرآن ليس فيه هذا إنه سرد فريد بصورة مطلقة كما أنه فريد في حفظه من تدخل الرجال.. بال اختصار هو إعجاز.

هو بخلاف الأسلوب الأدبي البشري حيث يبدأ كل شيء بالبداية، الكلمة الأولى والأية الأولى في الوحي القرآني ليست هي السورة الأولى والأية الأولى لكنها تحتل رقم ٩٦ في ترتيب سور القرآن حسب تعليمات الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم. لا يوجد

كتاب دينى فى العالم كله يتبع هذا النمط لأنه ليس
هناك وحى آخر حافظ على نقاشه منذ أن نزل حتى الآن.

عالمنفس كندس

لقد كان لي شرف مشاركة أفكارى عن الوحي
الأول لمحمد صلى الله عليه وسلم كما هو مسجل فى
الخمس آيات الأولى من سورة العلق مع شاب من
كندا. كنت أتحدث معه ونحن فى رحلة إرشادية إلى
أكبر مسجد فى نصف الكرة الجنوبي وبينما كنا
نتحدث سأله عن مهنته فأخبرنى أنه كان يعد رسالة
فى الدراسات العليا لعلم النفس بعد تخرجه من
الجامعة. فقلت له وأنا أفت انتباهه إلى الخمس آيات
الأولى من سورة العلق سائلا «كيف يعلل رسالة
وتجربة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتتحدث عن
القراءة والكتابة والعلم، بأشياء لم تكن معروفة من
قبل، ولا تمثل مشكلة له أو لقومه. كيف يمكن لعقل

ذاتى بشرى كما لو كان آتيا من مكان آخر يتلو هذه الآيات. قلت له أرجو أن تعطى تعليلًا لذلك. فقال لا أستطيع. اعترف أنه عاجز عن إعطاء تعليل لذلك، فقلت في هذه الحالة يجب علينا أن نقبل كلمات الرجل التي قالها سببا لذلك وشرعت أتلوا الآيات الأولى من سورة النجم:

"والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه
شديد القوى" (سورة النجم: ١ - ٥).

ومحمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يقولها المرة
بعد المرة للناس "قل إني أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنا
إليكم إله واحد" (الكهف - ١١٠).

الشاب الكندي أجاب بأدب: «سأعطي هذا الموضوع
حقه من التفكير الجاد».

إذا عودنا أنفسنا على التعامل مع حقائق القرآن

سنكون قادرين على فتح مجالات الحديث مع أى متخصص فى فروع العلم.

معجزة في الإعلام

لأن المركز الإسلامي العالمي لنشر الدعوة الإسلامية بجنوب إفريقيا نشيط كخلية النحل فإنه يجذب كثيرا من الناس للحوار والمناقشة بما فى ذلك رجال الصحافة والإعلام. وبمجرد أن اكتشف أن المقابلة صحافية أخبر صاحب المقابلة أنتى أود أن أعرض عليه أن القرآن معجزة إعلامية. والكل يقبل على الاستماع إلى وجهة النظر هذه. وأبدأ بقصة سيدنا موسى عليه السلام بطريقة ونوذج «حدث ذات مرة» فلا تبدو القصة قوية التأثير، فلا يستطيع تحمل الإسراف في التفاصيل الخاصة بموسى وأعشاب نبات البردى، ولا حتى تفاصيل طفولته وأمه وأخته في القرآن الكريم (سورة طه الآية: ٣٨ - ٤٠، سورة القصص:

٧ - ١٣) تخطيت التفاصيل وبدأت بـ:

حدث المدينة

موسى عليه السلام رأى رجلين يقتتلان، أحدهما من شيعته والآخر من أعداء قومه. فأراد أن يساعد اليهودي في مواجهة المصري، وفي الاشتباك صفع الظالم بشدة لدرجة أنه مات.

وهرب موسى عليه السلام من المدينة إلى سينا، فوجد نفسه بين أهل مدين، وهناك ساعد فتاتين في حاجتهما إلى الماء، وحصل على عمل من والدهما شعيب. وبعد أن أكمل عقد عمله بعد أكثر من ثمان سنوات، بدأ موسى يشعر بالملل من بقائه في الريف. وبالنسبة لرجل مثله تربى في حياة ملكية وسط سرعة وصخب المدينة، أصبح يتململ من حياة الريف الهدئة التي تسير على وتيرة واحدة. أراد التغيير وطلب الأذن من حماه أن يصبح مستقلاً. وشعيب كان رجلاً

عملاً وعاقلاً فأعطي موسى الإذن للمغادرة.

موسى يبدأ الرحلة

غادر موسى عليه السلام مع زوجته وأولاده مع نصيبيه من الماعز والأغنام التي كان يتعهد بها لحماء. وبعد قليل من الوقت، وجد نفسه مع عائلته في وسط سيناء. وقد فقد الطريق من آخر منزل نزل فيه للراحة، ونفذ منه الزاد الذي كان يحمله من اللحم. ولم يبق معه سوى الماتزو وهو خبز جاف يستخدمه اليهود. المشكلة كانت في اللحم. كان عليه أن ينحر أحد الخراف أو الماعز. وهذا أمر سهل لكن الصعوبة في الحصول على النار التي تحتاج إلى عمل شاق. يمكن أن يظل نصف النهار يحاول الحصول على شرارة من حك حجرين متماشلين. من الواضح أنه لم يكن هناك أعداء ثقاب في تلك الأيام. أخذ يوسف وبؤجل العمل اليوم وغداً لعل مشكلة اللحم تحل.

أين المعجزة التي وعدت بها يا سيد ديدات؟
حتى الآن لم أقدم إلا خلفيّة القصة فقط. المعجزة
هو تركيز كل هذا وأكثر في أربعة آيات جامعة موجزة
محكمة. أربعة جمل قصيرة في أجمل صياغة. ولكن
تقدير المهارة سوف أوجه انتباحك لما أبغى أن تلاحظه
فيما يبدو لي ذروة الكمال الإعلامي.

الإعلانات الصحفية

يقع مسكنى على بعد ثلاثين كيلو مترا شمال
مدينة دريان حيث يوجد مكان عملى. وقبل إنشاء
طريق سريع يوصل بمدينة دريان، كنت معتادا على
ارتياد الطريق الساحلى إلى دريان. وكان هذا الطريق
يجعلنى أمر أمام منحدر عند مدخل مدينة دريان،
وعند مرورى على هذا المنحدر كنت ألاحظ بانتظام
بائع جرائد يعرض جريدة الصباح «ذى ناتال
ميركورى» للبيع وكان يعلق يوميا إعلانا بالخطوط

العريضة للأخبار لجذب المشترين. وكنت كلما قرأت هذه الإعلانات أغير رأيي في شراء الجريدة في هذا اليوم. وعندما كنت أقوم بوضع سيارتي داخل الموقف في دريان وأمر على باائع جراند آخر كنت أشتري الجريدة برغم ذلك.

وبعد العديد من المرات التي كنت أغير فيها قراري هكذا، بدأت أفكّر وأسأل نفسي عن سبب هذا التغيير، فاكتشفت أنه بالرغم من أن الصحيفة كانت هي نفسها إلا أن طريقة العرض كانت مختلفة. فطريقة العرض عند الشاطئ، كانت تهدف إلى جذب الزيون الأوروبي بينما طريقة العرض في المنطقة الأخرى كانت موجهة للطائفة الآسيوية وتوسيع مجال العرض الصحفي ليشمل الأمور التي تهم الإفريقيين والملونين أمكن اجتناب هؤلاء لشراء نفس الجريدة. لذلك فالعرض الصحفي الناجح هو ذلك العرض الموحد

الذى يجذب الغالبية العظمى من الطوائف المختلفة كل يوم.
هذه هى قمة النجاح فى العمل الإعلامى، ولاشك
أن كل الصحفيين وافقونى على ذلك. دعنا إذن نحلل
الإعلام القرآنى وفق هذه القاعدة.

القرآن يوجه نداءه للجميع

نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم كان فى
المدينة محاطاً باليهود والمسيحيين وال المسلمين والمرشكين
والمنافقين. نبي الله كان يعلن أنباءه (الوحى الإلهي)
لكل هذه المجموعات المختلفة. ماذا يقول فى عرض
هذه الأنباء. ليجذب إنتباه كل هذه المجموعات
المتنافرة؟ لقد أوحى الله تعالى إليه أن يعلن "وهل
أتاك حديث موسى؟" يمكنك أن تصور مدى التأثير؟
اليهود والمسيحيون ينتظرون المزيد من السماع
يتوقعون من محمد صلى الله عليه وسلم أن يقع فى
الخطأ مقدرين بينهم وبين أنفسهم أن هذا الأمر لا يمكن

أن يعرف شيئاً عن موسى وقصته. وال المسلمين
متعطشون للمعرفة الحقيقية من خلال الوحي الإلهي
الصادق وهم تواقون لمعرفة كل شيء عن نبي الله
موسى عليه السلام.

المشركون والمنافقون يلوكون بالسنتهم مستمتعين
بالانتقال بالحوار بين المسلمين والمسيحيين واليهود عن
موسى عليه السلام محاولين ايجاد فرصة للحقيقة
والتناقض. الكل يصفى السمع في انتباه شديد
ومحمد صلى الله عليه وسلم يتتابع إعلان الوحي "إذ
رأى نارا".

يمكنك أن تخيل الأحداث كأنها أمامك ومحمد
يتحدث تليفغرافيا. لقد احتاج الأمر إلى ألفى عام بعد
المسيح عليه السلام لكي تصل الولايات المتحدة
الأمريكية (أكبر وطن للمسيحيين واليهود) إلى
درجة الكمال في مجال صياغة شعار الإعلان. ففي

إرشادات «شركة الاتحاد الغربي للإعلانات» تقول الشركة لمندوبيها «لا تكتب إعلاناً أكتب تلغرافاً» في أي مدرسة صحافية تعلم محمد لكى يتسيد هذه الطفة الأمريكية.

ويستمر الوحي الإلهي.
«فقال لأهله امكثوا إنى آنسٌت ناراً لعلى آتِيكُم منها بقبس أو أجد على النار هدى»
افتزال حاسم

من فضلك قارن الآيات السابقة مع أي ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، ترجمه بواسطة صديق أو خصم وستجد نفس الإيجاز والاقتصاد في الكلمات.
ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يجرى تجارب على مدى الأحكام والضبط فيما يقول، ولكنـه كان يبلغ كلام الله كما همس به إليه في قلبه وعقله بواسطة الملائكة جبريل عليه السلام. يجب أن نتذكر أنه

لم يكن هناك إنجيل عربى فى القرن السادس من التقويم المسيحي عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلوا القرآن.

الآن قدم هدية. من فضلك أجر مقارنة بين هذا الوحي القرآنى والقصة الواردة بالكتاب المقدس، الكتاب الثانى سفر الخروج الاصحاح ١ . ٢ . ٣ التي تعرض هذه الفترة من حياة نبى الله موسى عليه السلام والتى نتدارسها. وأنا هنا أقتبس بداية القصة من الكتاب المقدس.

«وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي اسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ مَعَ يَعْقُوبَ جَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبِنِيهِ رَأْوِينٌ وَشَمْعُونٌ وَلَاوِي وَسَاكِرٌ وَزَبِيلُونٌ وَبِنِيَامِينٌ وَدَانٌ وَنَفْتَالٌ وَجَادٌ وَأَشَرٌ وَكَانَتْ جَمِيعُ نُفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صَلْبِ يَعْقُوبَ سِعِينَ نَفْسًا وَلَكِنْ يُوسُفَ كَانَ فِي مِصْرَ.

(سفر الخروج ١: ٥ - ٦)

موسى يبيّن المهمة:

فَكَرِّبَ بِسَاطَةً هَلْ هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ اللَّهِ فِي الْحَدِيثِ؟

أرجو أن تقارن هذه الآيات الخمسة من الكتاب المقدس مع الآيات الأربع من القرآن الكريم الآتية بعد.

استمراً مع القصص القرآني، فإن موسى كان متوقاً إلى شيتين خلال مسيرته مع عائلته وقطيعه في سيناً. فقد كان يبحث عن النار ليطهوا بها اللحم، ويبحث عن الطريق إلى مجتمع إنساني في الصحراء يجد عنده الضيافة. ويوضح الله عن خطته بتكليف موسى بحمل الدعوة بالتدريج. فموسى كان يعد من قبل الله لمهمة الدعوة إلى الله. ومن وهم إشعال الفحم إلى حقيقة إشعال الأرواح البشرية بنور الهدایة الروحية لآلاف السنين، وتوجيهها التوجيه الصحيح لخير الجنس البشري.

النار التي رأها موسى لم تكن ناراً عادياً. بالنسبة له كانت بشاشة نار متقدة يمكن أن يأخذ منها شعلة فيستخدمها في عمل نار يطهو عليها طعامه، كذلك

فهى تشير الى وجود بشر يمكن أن يحصل منهم على المعلومات التى تهدىء الى الطريق.

«فلما آتاهها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع
نعليك إنك بالوادى المقدس طوى».

التاريخ الروحى للنبي موسى عليه السلام يبدأ من هنا و كان هذا هو مولده الروحى .. فى اصطلاحات الكتاب المقدس «اليوم أنا أخجلك» هكذا تكلم الله مع داود عليه السلام فى مثل هذا الموقف فى المزامير .٧:٢

الجزء القرآنى السابق مملوء بالمعانى الروحية العالية
التي تنبع من الآيات القصيرة المنتظمة الایقاع فى
الأصل القرآنى. كلام من الایقاع المسجع والمعنى
العميق فى القرآن الأصلى هو موطن السر الإعجازى.
ولتكون المقارنة أسهل أقدم لك الآيات الأربع متتابعة.
” وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى نارا فقال لأهله

امكثوا انی آنست نارا لعلی آتیکم منها بقبس أو أجد
على النار هدى، فلما آتاهها نودى ياموسى، إنى أنا
ريك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى

(طه: ٩ - ١٢)

وطوى وادى فى طور سينا ، حيث استقبل فيه
موسى الشريعة وقد أمره الله أن يخلع نعليه ومعنى
ذلك كأنه خلع مصالحة الدنيوية وأى شىء له فائدة
دنية لأن الله العلي قد اختاره لرسالته.

الفصل الرابع

كتاب البرقيات الإعجازية

القرآن الكريم من الممكن وصفه بأنه كتاب البرقيات الإعجازية. فهكذا أوحى الكتاب في صورة رسائل تلغافية موجهة كجواب على الأسئلة.

الخمر والميسو

قال الله تعالى: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسائلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرن" (البقرة . ٢١٩)

القرآن والحديث

الآية السابقة هي مجرد نموذج واحد للطريقة الإلهية في توجيه الحديث وستأتى الأمثلة تباعاً. هل يمكن لأى باحث عن الحقيقة ياخلاص أن يجد طريقة أكثر ملاءمة وسهولة؟ الإجابة بالطبع لا.. الله أيضا يحاور

المتمردين بالحججة بهذه الكلمات "قل هل يستوى
الأعمى والبصير" (الرعد - ١٦)
بالطبع لا.

والآن قارن الكلمات السابقة لله العلي القدير في
موضوع الخمر (المسكرات عموماً) مع كلمات رسوله
المصطفى صلى الله عليه وسلم. لا تنسى أن الآية
السابقة (البقرة - ٢١٩) والحديث الآتي بعد
مسموعين من شفتي النبي صلى الله عليه وسلم
ونقلهما عنه أصحابه.

ففي حديث عن أنس (رضي الله عنه) أنه قال
«لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شارك في
إنتاج أو استهلاك أي نوع من المشروبات المسكرة.
هو يقول:

- ١ - ملعون من زرع العنب بقصد التخمير.
- ٢ - ملعون من يبيعها.

٣ - ملعون من يعصرها.

٤ - ملعون من يعبئوها.

٥ - ملعون من يشربها.

أو كما قال^(١)

نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أيضاً «ما أسكر
كثيروه فقليله حرام».

ليس هناك عذر في الإسلام لرشفة أو جرعة بخلاف
نصيحة بولس إلى提摩西:

«لا تشرب فيما بعد شراب ما، بل استعمل خمرا
قليلاً من أجل معدتك وأستقامك الكثيرة»

(اتيموثى ٢٣: ٥)

أو وصية سليمان وهي توصية فكهة تصلح

(١) نص الحديث: عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،
لعن في الحمر عشرة: عاشرها ومتصرّها وشاربها وحامليها والمحملة اليه
وساقيها وبيانها وأكل ثمنها والمشترى لها» رواه ابن ماجه والترمذى.

لاستعباد والتحكم فى شعب مقهور.
«أعطوا مسکرا لھالك وخمرا لمرى النفس يشرب
وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد».
(الأمثال ٣١ : ٦)

حتى لا تنسى من فضلك أنظر مرة أخرى في
النص القرآني وكلمات حديث النبي صلى الله عليه
 وسلم السابقة وسوف لا يسعك إلا أن توافق أن
 الاثنين مختلفان في الأسلوب والبناء والجلال بالرغم
 من أن كلامهما قد خرج من نفس الشفاه.
 ومثال آخر لإجابة تلigrافية (برقية) لسؤال عن
 الأهلة.

“يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج”
(البقرة: ١٨٩)

«كان هناك الكثير من الخرافات المتصلة بالأهلة
 (الصور المختلفة للقمر) كما هو الحال حتى يومنا

الحاضر. لقد أمرنا ألا نلتفت إلى مثل هذه المخrafات.
ويستخدم التقويم الهلالى لقياس الزمن، والأهلة
تعتبر مؤشرا عظيما لمعرفة الشهور يترقبها الناس في
لهفة، فالمناسبات الإسلامية المختلفة بما في ذلك الحج
تعرف ويتثبت منها بولد الهلال الجديد»

(على يوسف على)

تلغراف (برقية) مماثل للسؤال عن
الإحسان

"يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقت من خير
فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فإن الله به علیم"

(البقرة - ٢١٥)

ثلاثة أسئلة مثارة عن الإحسان

١ - ماذا نعطي؟

٢ - من نعطي؟

٣ - كيف نعطي؟

والإجابة هنا إعطاء أى شىء، بشرط أن يكون صالحًا ونافعًا ومفيضاً ولهم قيمة. ممكن أن يكون مالاً، ممكن أن يكون مد يد المساعدة على إنجاز شىء، ممكن أن يكون نصيحة مفيدة، ممكن أن يكون كلمة طيبة "وما تفعلوا من خير" فهو إحسان، وعلى الناحية المقابلة إذا أقيمت بشىء نافع فليس هذا إحساناً، أو إذا فعلت شيئاً بقصد الإضرار والإيذاء مثل أن تعطى سيفاً لرجل مجنون، أو أن تعطى دواءً أو حلوىً أو نقودً لشخص ما تريده أن تستدرجه وتوقع به، فهذا ليس إحساناً ولكنك تعطيه عذاب الجحيم.

لمن تعطى؟

قد يكون العطاً محاولة لكسب المدح والثناء من الناس لعطيتك التي سوف يتتحدثون عنها. ولكن هل بدأت بالوفاء باحتياجات من لهم الحق الأول عليك؟

إذا لم تفعل فأنك كمن يسلب مال الدائنين لتعطيه
للآخرين، وليس هذا إحساناً يجب ألا يكون الدافع
إلى العطاء هو الغرض الشخصي وأن يكون المتلقى
للعطية محتاج إليها فعلاً، وهذه النقطة إذا لم تضعها
في اعتبارك فإن الدافع إلى العطاء هو الغرض.
كيف نعطيها؟

مادام الله مطلع عليها فيجب أن تكون بعيدة عن
كل تظاهر واستعراض وربما «

(على يوسف على)

محمد صلى الله عليه وسلم تلقى تلغرافاً آخر في
إجابة لسؤال عن طبيعة:

الروح

"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أتنيكم من العلم إلا قليلاً" (الاسراء . ٣٥)

لا أستطيع إلا أن أؤكد باستمرار أن السرد القرآني

يختلف كلياً عن أي كتاب آخر على سطح الأرض، إنه يتحدث بطريقة مباشرة وفي الصميم. ليس فيه لو.. ولكن.. ولا مراوغة ولا يحوم حول الموضوعات. وفي كل الكتاب لن تجد النص المسرحي الذي يصلح «لشباك التذاكر»، أو لفيلم يضرب الأرقام القياسية مثل «الوصايا العشر» و«شمشون ودليلة» ليكون مادة إنتاجية للشاشة الفضية للسينما. ومن هذه الناحية فإن الكتاب المقدس مادة مبهجة لكتاب النصوص الفلمية والمسرحية يمكن تحويلها بسهولة إلى قدور من الذهب.

و قبل أن نترك هذه النقطة دعونى أذكر قرائى أن ابحثوا كما تشاورون بين دفتى الكتاب، فلن تجدوا حتى اسم والد ووالدة الرسول عليه الصلوة والسلام. لن ت العثروا على أسماء زوجاته أو بناته أو أسماء صحابته المقربين. بالرغم من أنك تجد سورة كاملة عن السيدة

مريم عليها السلام أم عيسى عليه السلام في القرآن الكريم. وعيسى عليه السلام ذكر في كتاب الله خمس وعشرون مرة، بينما اسم النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا خمس مرات. ما السبب؟ هل لأن عيسى وأمه أعلم من محمد (عليهم جميعا صلاة الله وسلامه)؟ لا ليس كذلك إذا لماذا هذه التغطية الإعلامية غير العادلة. ببساطة لأن نزاهة عيسى وأمه كانت في حاجة إلى دفاع. كان هناك العديد من الاتهامات الزائفة للأم وابنها كان لابد من دحضها لذلك فإن قصة بشارة الملاك والحمل بلا دنس ومولد عيسى عليه السلام لابد من تسجيلها. لم يكن نسب محمد صلى الله عليه وسلم في أي وقت موضع سؤال. لذلك لم تذكر كلمة واحدة في كل الكتاب عن مولد محمد أو نسبه. القرآن ليس كتابا عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم. هذا شيء يصعب على غير المؤمنين فهمه.

دعا نعطي مثلا آخر لرسالة تلغرافية (برقية) من الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في موضوع يوم القيمة وهو :

الساعة

"يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتكم إلا بعنته" (الأعراف - ١٨٧)

يستحق منا الاهتمام أن نقارن هذه الآية الواحدة السابقة بالإصلاح الثالث عشر كله من إنجيل مرقس والذي يستخدم السبع وثلاثين آية في كل الإصلاح ليصل إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها الآية الواحدة السابقة. اختبار بسيط لتميز صنع الإنسان من كلمات الله. ستتجدد القرآن خال من التكلف والإسهاب.

أمثلة أخرى كثيرة يمكن تقديمها من كتاب الله

للبرهان على أن طريقة في السرد ليست هي طريقة البشر. إنه كتاب فريد بصورة مطلقة. في الحقيقة يمكن كتابة مجلد كامل في هذه النقطة بذاتها. وعلى كل حال سوف نختتم هذا الفصل بمثال آخر من القرآن الكريم. إنها سورة قصيرة قياسية من أربع آيات. والآيات الأربع مجتمعة أقل في عدد الكلمات من الآية السابقة الواحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قل هو الله أحد ٢ - الله الصمد ٣ - لم يلد
ولم يولد ٤ - ولم يكن له كفوا أحد.

في الترجمة الإنجليزية ستجد خمس آيات بدلاً من أربع لأن ترجمة على يوسف على تعتبر بـ **٦٢٩٦** الرحمن الرحيم آية. وفي التعليقات من رقم **٦٣٠٠** إلى **٦٣٠٣** ستجد تعليله لذلك ومن الممكن أن نتفق أو نختلف حول ذلك، لكن كلمات الله هي النسخة

العربية وهي المرجع والترجمة الإنجليزية مقبولة فقط
كأحسن محاولة بشرية للترجمة.

امتحان حاسم لمصداقية الدين

حسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن
المسلم إذا تلى الآيات الأربع السابقة بصيغتها
الأصلية (العربية) ثلاث مرات فكانه قرأ القرآن
بأكمله. مما الذي يجعل لهذه السورة القصيرة هذا
القدر العظيم؟

ليس الصوت أو الموسيقى لهذه السيمفونية الفريدة
والتي تحرك في النفوس نشوة الروح والدموع. إنها
الرسالة، الامتحان الحاسم للدين هو الذي يعطيها هذه
المنزلة الرفيعة. ليس هناك حقيقة لاهوتية أو مفهوم
عن الله يمكن أن يكون خارج نطاق هذه الآيات
ال الأربع. إنها المحك الذهبي (Touchstone) لمعرفة
الله. فمن خلال هذه الآيات يمكنك قبول أو رفض أي
فكرة عن الله وأن تعرف الحق من الباطل. إنها تماماً

مثل ممحك الذهب الذى يستخدمه الصائغ فى اختبار الذهب إذا كان لك صديق صائغ فاسأله كيف يعمل ممحك الذهب؟ لتعرف كيف يفعل ممحك الذهب القرآنى، سورة الإخلاص.

كانت هناك ترتيبات تعددت لزيارة زامبيا لإلقاء عدة محاضرات فى منتصف عام ١٩٧٥. وتلقيت مكالمة هاتفية من لوکاسا بأنهم أرسلوا إلى تذكرة الطائرة إلى مدينة دريان حيث أقيمت، ويمكننىأخذها من المركز الرئيسي لشركة طيران جنوب إفريقيا. والتي تقع في مركز المدينة، وذهبت إلى مكاتب الشركة واقترن من موظف الاستعلامات المسئول وأخبرته بأنى حضرت لأخذ تذكرة التي أرسلت من لوکاسا، فأرشدنى أن أتوجه إلى إحدى السيدات وأشار إلى حوالي إثنتا عشرة سيدة يجلسن في صورة نصف دائرة، كل منها أمامها شاشة كومبيوتر. ولأن معظمهن كن منشغلات مع عمالء آخرين فقد سألته: أى واحدة منهن؟ وثار الموظف بصورة واضحة وأشار

بيده وقال في خشونة «أى واحدة» مشيراً في اتجاه السيدات المجالسات. في هذه اللحظة لم أستطع فهم سبب هياج هذا السيد المذهب لسؤال البريء، والمتواضع. كنت أتطلع إلى استلام تذكرة التي أعرف أنها مكونة من ورقيات في صورة كتيب مستطيل. لقد فعلت ذلك عدة مرات من قبل، لذلك لم يكن هناك خطأ فيما كنت أحسب. كيف يمكن أن تكون تذكرة عند كل هؤلاء السيدات في وقت واحد. لكن اللهجة الغاضبة في صوت الرجل لم ترك لي فرصة لمراجعته، وتقدمت للبحث عن مزيد من المعلومات حيث أشار. وفي ارتباك اقتربت من أول سيدة رأيتها غير منشغلة بأحد ومستعدة للخدمة وأخبرتها ب مهمتي، وهو أنني تلقيت مكالمة أن هناك تذكرة في انتظاري وعلى أن أسلّمها، فسألتني عن اسمي فتهجّيته لها وهي تكتبه على لوحة المفاتيح التي أمامها، وكانت تراقب الشاشة بينما هي تضرب

على لوحة المفاتيح. لكنى لم أكن أستطيع أن أرى الكلمات من المكان الذى كنت أقف فيه. وأوسمأت برأسها وقالت: نعم مشيرة إلى أنها وجدته. فقلت لها أنى أريد أن أغادر دريأن إلى جوهانسبرج مساء الثلاثاء، فاقترحت على رحلة الساعة السادسة فوافقت فأضافت بعض الكلمات إلى لوحة المفاتيح، فأخبرتها أنى أريد أن أترك جوهانسبرج لأصل إلى لوکاسا حوالي الساعة الثالثة مساء فى اليوم资料. كانت هذه تعليمات من إستضافونى هناك، حيث أرادوا أن تغطى الإذاعة والتليفزيون وصولى هناك. فقامت بإضافة بعض الكلمات، وسألتني إذا كنت أريد الذهاب إلى لوکاسا عن طريق جابون أو مابوتوا وأجبتها بأن الأمر سيان مادمت سأصل إلى غايتها فى تمام الساعة الثالثة يوم الأربعاء. فضررت على لوحة المفاتيح مرة أخرى ثم أمعنت النظر في الشاشة وقالت: «آسفة لأنك حجزت على الخطوط الزمباوية، ولا نستطيع تحويل

التذكرة إلى خطوط أخرى لأننا لا نستطيع اليوم الاتصال بالخطوط الزيمبابوية لأن لديهم اليوم عطلة بسبب أحد الأعياد الوطنية هناك. وسألتني أن أعود في اليوم التالي لاستكمال الإجراءات حيث تكون العطلة قد انتهت».

لا بأس لكنى شعرت بإحباط لأن التذكرة كانت على وشك أن أحصل عليها ولكن لم تكن في يدي. كنت لا أزال أتخيل أن التذكرة في درج مكتبها.

الأمور تتضخم

ولخيترى سألتها «من أين حصلت على كل هذه المعلومات؟» فقالت: «من الكمبيوتر الرئيسى فى جوهانسبرج» وكانت من الكرم بحيث أعطت مزيداً من الشرح بأن كل كمبيوتر فى البلاد له نفس هذه الوصلات يمكنه الدخول على هذا الكمبيوتر الرئيسى بمجرد الضغط على مفتاح معين. فسألتها إذا حدث عند محاولتها أن ت hvorزلى على طائرة الساعة السادسة المتوجهة إلى جوهانسبرج وكان هناك مقعد

واحد فقط وكان هناك في نفس الوقت موظف آخر في مكان آخر يحاول الحصول على نفس المقعد ماذا يحدث؟ فقالت الشخص الذي يسبق الآخر بجزء من الثانية سوف يحصل على المقعد والأخر سوف لا يوجد أمامه شيئاً. فشكرتها شakra جزيلاً وغادرت المبنى.

في طريق عودتي إلى مكتبي بدأ عقلي تتوارد عليه الأفكار، وفكرت، هذه هي الطريقة التي حدث بها الأمر أقصد الطريقة التي جاء بها الوحي الإلهي إلى محمد صلى الله عليه وسلم رسوله المختار من «الكمبيوتر الرئيسي» اللوح المحفوظ

"بل هو قرآن مجید في لوح محفوظ"

(البروج: ٢١ - ٢٢)

هذا اللوح ليس مثل لوح موسى الذي استخدمه في نقش الوصايا العشر أى لوح من الحجر. وليس مثل اللوح التي يستخدمه المدرسون في المدارس والذي يسمى السبورة، وليس لوحاً كشاشة الكمبيوتر. إنه لوح يحفظه الله ويحميه ولا يمكن وصفه بطريقة مادية

لأنه ليس من مادة تنتسم إلى عالمنا، إنه شيء روحاني! أما كيف يعمل؟ فإننا نخمن فقط.

مسيحيو نجران

بينما كان الإسلام يوطد أقدامه في المدينة، كانت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم تنتشر في الجزيرة في طول البلاد وعرضها. وكان هناك مجموعة من المسيحيين العرب يعيشون في نجران، حول اليمن. وسمع هؤلاء أن رجلاً عربياً من الجزيرة العربية يقول إن وحياً إلهياً يوحى إليه وأنهنبي من قبل الله يتحدث باسمه. وجاء وقد منهم إلى المدينة ليتحنوا النبي ويناظروا ما عندهم بما عنده وليختبروا معرفته بالله والأديان عامة.

وعندما وصلوا إلى المدينة نزلوا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم. بناه بسيط حوائطه من الطين وسقفه من سعف النخيل. المسيحيون أكلوا وناموا في المسجد وتحاوروا مع الرسول عن الله لمدة ثلاثة أيام وثلاث

ليال. تفاصيل هذا الحوار تتجده في كتب الحديث.
خلال الحوار، المتحدث باسم المسيحيين ضمن أسئلة
أخرى كثيرة طرح سؤال، «قل لنا يا محمد ما هو
مفهومك عن الله؟» لم يراغب الرسول ولم يحتم حول
الإجابة باحثاً عن كلمات وأفكار ليجمع بها رده كما
يفعل كل واحد منا عندما لا يكون لديه الإجابة
الخامسة. محمد صلى الله عليه وسلم لكنه يتكلم
ضغط على مفاتيحه الروحية (ليس هناك مفاتيح
مادية ليضغط عليها)، ولكنها مجرد تقرير للفكرة
 فهو ينشد الإجابة ويجب من الله خلال اللوح المحفوظ
«الكمبيوتر الرئيسي» لكل المعلومات الخاصة
بالروح. إنه يسأل لكنه يتكلم «يا رب ماذا أقول؟»
وتأتي الإجابة:

«قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد،
ولم يكن له كفواً أحد»

(سورة الإخلاص - ١ - ٤)

بعد أن تفوه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبارة السابقة عن الإيمان الخالص، عادت المعاذة إلى الخطاب المعتمد. ليس هناك عربي يستحق هذه التسمية يمكن أن يفوته التفريق بين النغمة في الصياغة والحدة في التعبير بين كل من الخطابين. الكلمات السابقة لم تكن كلمات النبي لكنها كلمات الله. لقد وضعت حرفيا في فمه بينما هو يتلوها. كان يتحدث بلسان الله. هذه المعلومات زود بها في قلبه وعقله قبل عقد من الزمان في مكة بطريقة مماثلة للكمبيوتر في ذلك الوقت كان اليهود يحاولون حثه ليوقعوا به في موضوع «هوية وأصل الله» ليس مثل الفرسان الأقدمين الذين كانوا يتبعون خطوات مسيحهم المنتظر ليشاكسوه. والمثال السابق هو مثال حقيقي عن كيفية إرسال الله وحيه لرسولهختار وكيف تلقى الرسول هذا الوحي وحفظه وكيف استخدم فمه الظاهر لإعلان هذه الرسالة وكيف أتباع النبي

صلى الله عليه وسلم علينا أن نتشرب هذه الرسالة
لنستخدمها في أمور حياتنا.

في كل الكتب الدينية في جميع أنحاء العالم
لا توجد أى كتابة يمكن مقارنتها حتى بهذه السورة
الصغيرة وهي «سورة الاخلاص». وإذا كانت هذه
السورة هي الاختبار الخامس في علم اللاهوت والقدرة
الإلهية في تركيز أعظم المعانى في أقل الكلمات،
فبقية القرآن هو تفسير وتوضيح لها ومن خلال ذلك
عرفنا صفات الله وتجنبنا تسلل الشرك إلى عقائidنا
والذى وقعت فيه الأمم والرجال وهم يحاولون فهم
حقيقة الله.

الفصل الخامس

الله متفرد في صفاته

الله سبحانه وتعالى متفرد تفردا مطلقا في ذاته وصفاته. ولا يمكن مقارنته بغيره بأي حال من الأحوال وبأي صورة نعرفها أو نتخيلها، كما هو واضح في الآية الأخيرة من السورة المقتبسة في الفصل السابق (١١).

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ليس له نظير ولا شبيه. إذاً كيف نعرفه؟ والإجابة نعرفه من خلال صفاتة.

الوحى الأخير والنهاي من الله وهو القرآن الكريم أعطانا تسعاء وتسعين صفة من صفات الله أولها اسم الجلاله «الله»، وهذه الأسماء التسعة والتسعون تسمى أسماء الله الحسنى، وهي منتشرة خلال كل النص القرائى كعقد من حبات اللؤلؤ مع الجوهرة الكبرى «الله».

ونقدم هنا قطعة من هذه القلادة:

"**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ**
الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سَبَحَانَ اللَّهَ عَمَّا
يُشَرِّكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصْوُرُ لِهِ الْأَسْمَاءُ
الْحَسَنَى يَسْبِحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ". (سورة الحشر ٢٣ - ٢٤)

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى

فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتِيْنِ نُسْتَطِعُ أَنْ نُعْدَ ثَلَاثَةً عَشْرَ
اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى التِسْعَةِ وَالتِسْعَونَ
الْمُنْتَشِرَةِ خَلَالَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. حَتَّى أَشَدُ الْأَعْدَاءِ عَدَاوَةً
وَحَقْدًا عَلَىِ الإِسْلَامِ سِيَاجِدُونَ أَنفُسَهُمْ مُضْطَرِّينَ
لِلإِعْتَرَافِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حَتَّى فِي صِيغَتِهِ الْمُتَرْجَمَةِ
فِيَانُ أَوْصَافِهِ وَأَسْلُوبِهِ جَمِيلَانِ وَمُتَفَرِّدَانِ. وَفِي الأَصْلِ
الْعَرَبِيِّ لِلْقُرْآنِ فِيَانُ الْكَلِمَاتِ وَالْتَّرَاكِيبِ تَتَمَيَّزُ بِالتَّفَرِّدِ
وَالْتَّسَامِيِّ الْمُطْلَقِيْنِ.

(١) آيَةُ (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُورٌ أَحَدٌ).

كيف يمكن لأمٍ لا يقرأ يعيش بين شعبٍ ألمٍ غير متعلم أن يستنبط مثل هذه التحفة الأدبية الراخفة عن الله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان؟ يجب علينا أن نتذكر أنه لم يكن هناك دائرة معارف أو نصوص حتى ولو كانت غير صحيحة يرجع إليها محمد صلى الله عليه وسلم في صحراء الجزيرة العربية. من أين إذن حصل محمد على هذا الكنز في علم اللاهوت؟ لقد قال أن كل ذلك جاءه من الله عن طريق الوحي. هل يمكن أن يكون هناك تفسير آخر؟ ستكون تجربة جيدة لنا أن نسأل أكثر أصدقائنا علماءً أن يسرد لنا بعض صفات الله. وأنا أؤكد لك أنه مع كل ما لديهم من علم فإن أساتذة اللاهوت والحاصلين على درجة الدكتوراه في اللاهوت لن يستطيعوا أن يعدوا لنا حتى إثنتا عشرة صفة.

سوف يقول الخبراء الدينيون «لقد كان محمد

عbecريا، والعبقرى يمكنه أن ينجز عشرة أضعاف مانجزه نحن»، ولهؤلاء أقول «نعم يمكن للعبقرى أن ينجز ماينجزه عشرة منا. لكن النبى صلى الله عليه وسلم أعطانا تسعه وتسعين صفة لله، وما يجعل قائمه إعجازا ووحيا إلهيا، أنه ترك كلمة أب خارج هذه القائمة إنها معجزة.

الأب السماوى

أى كاتب يحاول أن يضع قائمة بشرية بصفات الله فسيكون فى بدايات قائمته كلمة أب، ومعجزة قائمة محمد صلى الله عليه وسلم ليست فقط فى الصفات التسعة والتسعين ولكن فى كونه أبعد هذه الصفة (الأب) بالذات عن القرآن. كلمة الأب كصفة من صفات الله كانت تتردد أمامه خلال سنوات نبوته الثلاثة والعشرون التى قضاها فى تبليغ الدعوة، لكنه نحاها أبعدها عن مجموع الصفات التى يستخدمها

عامة ولدة تزيد عن العقدين من الزمان وبالتالي من علم اللاهوت الإسلامي ومن حرقك أن تسألني: وماذا عن صلاة المسيحيين؟ نعم ماذا عن هذه الصلاة؟ إقرأها يا سيد ديدات لذلك أنا أقرأها:

«يا أبا نا الذي في السموات، تقدست أسماؤك، ظهرت مملكتك على الأرض كما في السموات». وأنت تسأّل «ما الخطأ في هذا» وأنا أجيب «لا شيء»، إذاً لماذا يشعر المسلمون بحساسية من ذلك؟ إنني لست متحيّزاً مثل خصومنا، وإنني أقر بأن صلاة المسيحيين صلاة جميلة ولكن فيها قصور. سوف لا يتعلم إبني أبداً اسم الله من خلال هذه الصلاة.. ما اسمه؟ في كل الكتب السبعة والعشرون للعهد الجديد لم يذكر فيها اسم الله ولو مرة واحدة. الأب يذكر هنا كبدائل وهذا ليس اسمه. كصفة من الصفات بمعنى الرب أو الإله أو الخالق فليس هناك

اعتراض على ذلك. كذلك الأب المحبوب في السماء، وأبنا السماء، طالما كان هناك احتياط في فهم المعنى. لكن المسلمين يعترضون على المعنى الجديد الإضافي لكلمة الأب.

الابن الوحيد المولود

في علم اللاهوت المسيحي. هذه الكلمة البسيطة البريئة اكتسبت معنى جديدا. فتبعا للديانة المسيحية كلمة الأب تعني الذي أنجب ابنه يسوع. هم يقولون في كتاب الكاتيшиزم - وهو كتاب يشتمل على خلاصة التعاليم المسيحية على صورة سؤال وجواب - «عيسى هو الإله الحقيقي من الإله الحقيقي، مولود من الأب مولود وليس مخلوق».

تبعا للإنجيل فإن الله له أبناء كثيرون. على سبيل المثال آدم، إسرائيل، إبراهيم، داود، سليمان إلخ ولكن المسيحيين يقولون أن كل هؤلاء أبناء على

سبيل المجاز. الله القدير كخالق ومعز هو الأب المجازي لك كل مخلوقاته كل إنسان وحيوان. لكن عيسى (عليه السلام) في نظر المسيحيون ليس مثل هؤلاء. هو مولود وليس مخلوق. وهذا تبعا للإسلام أبغض ما يقال في حق الله، أن نسب إليه طبيعة حيوانية هي أدنى الوظائف الحيوانية.

تغيير المعانى

في البداية كانت الكلمة الأب المنسوبة لله لا تحمل أي كفر أو تحريف أو تداعى للمعاني المرتبطة ذهنيا. ولكن الكلمات تتغير معاناتها المقصودة مع الزمن. وأضرب مثلا ب كلمتين وهما كلمتي Comrade (وتعنى رفيق) و الكلمة Gay (وتعنى مبتهج) فكلمة Comrade في أصلها الكلمة جميلة وبريئة وهى تعنى صديق أو رفيق أو زميل. وهى مشتقة من الكلمة الفرنسية القديمة Comrade وهي

تعنى المشارك فى نفس الحجر أو الجندي المشارك فى نفس الدفعه. ولكن اليوم تستخدمن نفس الكلمة فى العرف الأمريكى للتعبير عن شخص عضو فى الحزب الماركسي اللينينى، أو عن شخص راديكالي (متطرف) يصور على أنه هدام أو ثورى يجب التخلص منه لأنه وباء مؤذى وكائن طفيلي. لو أن أى صديق أحمق دعاك بأنك Comrade (صديق أو رفيق أو زميل) فى الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يمكن أن يفقدك وظيفتك بل ربما حياتك.

وكلمة Gay بمعنى مرح أو مبتهج أو سعيد. ما العيب فى هذه الكلمة؟ لاشيء على الإطلاق. لقد تعلمت هذه الكلمة فى بداية إلتحاقى بالمدرسة على أنها تعنى المبتهج الحالى من الهموم المنتشى بالسعادة. وتعلمت أن أنشد أغنية تقول «السادة السعداء والسيدات السعيدات يبدؤن يومهم بتسلق الجبال».

لقد نسيت وزن القصيدة ولكنني أفهم المراد من
معنى الكلمة Gay هنا بأنها تعنى السعادة والمرح. لم
أكن أتصور أبداً أن يأتي اليوم الذى تأخذ فيه هذه
الكلمة - التى كانوا يعلمونها لأطفال المدارس ليغنوها
- معنا فاحشاً بذيتها ليكون معناها لوطنى شاذ ثانى
الجنس لأول وهلة عند ذكرها. وعلى ذلك يكون معنى
السيدات السعيدات بمعنى السيدات الشاذات. بطريقة
مشابهة تحولت الكلمة الأب المحترمة الموقرة لتصبح
محرفة بالاعتقاد (بالابن المولود للأب).

رب ام أب

الله سبحانه وتعالى من خلال محمد صلى الله
عليه وسلم حفظ الإسلام والمسلمين باستبعاد هذه
الكلمة من المصطلحات الدينية الإسلامية بعد أن
أخذت معنى مغايراً. إنها حقيقة إعجازية أن الله
 سبحانه وتعالى قد أنزل تسعه وتسعين صفة لله

مشتملة على كلمة رب والتى تعنى السيد والمعز والمساند.. الخ.

وكلمة رب مذكورة في القرآن عشرات المرات. ولكن الكلمة الأسهل نطقاً أب لم تستخدم ولا مرة واحدة. وهذا حفظاً لل المسلمين من التجديف بمثل الابن الوحيد المولود! من نقدم التقدير لهذه الحماية. لله أو لحمد صلى الله عليه وسلم؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدعى هذا الفضل فهو دائماً ينسب الفضل لله ويقول إنما هو مبلغ لما يتلقاه بالوحى فالكلمات التي تسمعها ليست كلماته ولكنها كلمات الله التي أوحى بها إليه.

الفصل السادس

تسوية الخلاف

القرآن الكريم معجزة كبيرة. هو كتاب معجزات يمكن أن يعرض من جوانب لا تمحى. ولقد حاولت أن أشارك في بعض هذه الجوانب التي بدت لي كرجل غير متخصص والتي بهرتني، وليس هناك نهاية مثل هذه الأبحاث. وأترك هذه المهمة إلى إخواتي الأكثر علماً والمحظيين بالدراسات الإسلامية. وأتمنى أن أعيش لأرى نتيجة جهدهم. دعني أختتم هذه الدراسة بمثال آخر.

نداء إلى السويد

منذ بضع سنوات شب خلاف في السويد. الملك سويروذا فقد ملكته المختارة. وبدأت الكنائس المسيحية في البلاد تتحدث بالمواربة عن موضوع الفترة التي يمكن أن يقضيها الرجل متظراً قبل أن

يتزوج مرة أخرى. لم تكن المشكلة خطيرة التناول لأن الملك لديه ثمان زوجات آخرات، لذلك تحول الموضوع إلى الفترة التي تنتظرها المرأة بعد موت زوجها. وبينما كانت المجادلة تحتدم بشدة في المملكة الصغيرة أمر الملك الطيب مجمع الكنائس في كل البلاد لبحث هذه المشكلة.

السيد موسى بورمان وهو أخ سويدى اعتنق الإسلام طلب الإذن من الملك أن يدخل الإسلام أيضا طرفا في المناورة وبموافقة الملك تشرفت بأن أكون أنا أيضا طرفا في الحوار.

وفى يوم من أيام الأحد صباحا. وفي أحد صالات الاجتماع الملكية وبحضور مندوبي عن كل الطوائف المسيحية اجتمعوا للوصول إلى اتفاق جماعي لموضوع فترة الترمل.

وقام المتحدث إثر المتحدث يدلّى بما عنده. وكان المستمعون يصفقون بحماس في نهاية كل خطبة. ثم يأتي المتحدث التالي ويرفض نهائياً ما قاله سلفه مستخدماً تعبير Paalish والتي معناها ثريد يقصد بذلك أن هذا الكلام تافه لا وزن له ثم يقوم بأداء دوره الذي ينتهي بعاصفة من التصفيق، واستمر هذا العرض من الصباح إلى المساء، وحوالي الساعة الخامسة بعد الظهر جاء دورى. وقفت وأنا أمسك بنسخة من القرآن في يدي وبدأت أقول «من الصباح إلى المساء ونحن نلتزم الإجابة عن المدة التي تنتظرها الزوجة بعد وفاة زوجها لكي تتزوج بأخر ولقد سمعنا ما قاله العهد القديم (التوراة) وما قاله العهد الجديد (إنجيل) ثم ما قاله العهد الجديد وما قاله العهد القديم ولكننا لم نحصل على الإجابة بعد لأن حل المشكلة موجود في العهد الأخير.

العهد الآخر

وكان ذكر العهد الآخر مفاجأة أذهلت القساوسة والمبشرين، لم يسمعوا من قبل تعبير العهد الآخر طوال حياتهم أبداً، وقلت «الإستشهاد بالقديم والجديد، والجديد القديم لن يساعد أبداً لأن الإجابة موجودة في العهد الآخر من الله للبشرية» ولوحت بالكتاب من فوق رأسى وقرأت بالإنجليزية الآية ٢٣٤ من سورة البقرة.

"والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتريصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعلمون خبير" (البقرة - ٢٣٤)

وسألت المستمعين «أربعة أشهر وعشرة أيام. هل تحتاجون إلى ترجمة من الانجليزية إلى لغتكم المحلية؟ فأجلبوا جميعاً بصوت واحد «لا» ويدأت

أشرح الحكمة من وراء مدة الأربعه أشهر وعشرة أيام
فى الآيات السابقة فى العهد الأخير والنهاى من الله.
لقد أخبرنا عن المدة التى تنتظرها المرأة بعد الطلاق
” والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ”.

(البقرة - ٢٢٨)

هذا لكي نرى إذا كان هذا الزواج الذى انتهى
بالطلاق قد أثمر جنينا فى بطن المطلقة. بينما فى
حالة الترمل توجد فترة إضافية مدتها شهر وعشرة
أيام. أمر منطقى ولكن ما المعجزة فى هذا. أى رجل
عاقل يمكن أن يخمن فترة ثلاث شهور بعد الطلاق
وأربعه شهور وعشرة أيام بعد وفاة الزوج. ومحمد
صلى الله عليه وسلم يمكنه أن يخمن كائى شخص آخر.
هذا صحيح ولكن الدليل على أن كل تعاليمه
الصحيحة والمفيدة ليست من عنده ولكن من عند الله
هي الآيات التى تلت فترة أربعة شهور وعشرة أيام

حيث يقول الله تعالى:

"ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن
ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولًا معروفا
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله
واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا
أن الله غفور حليم" (البقرة - ٢٣٥)

حكمة الله:

"لا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله"
أى لا تعقدوا الزواج حتى تنتهي فترة الانتظار هذه.
هذه ليست مهارة محمد (صلى الله عليه وسلم). هذه
هي حكمة الله الحكيم. فالله خالق المخلوقات يعرف
مواطن الضعف فيها. فرغبة الرجل وتوقعه إلى المرأة قد
تدفعه إلى استغلال الأرملة المضطربة المسكونة
المكلومة لفقد زوجها. فقد فقدت لتوها عمودها

الفقرى ودعامتها وموارد رزقها. وقد يكون عندها أفواه صغيرة ت يريد أن تطعمها. وربما تكون قد فقدت جمالها وتدهورت قيمتها فى سوق الزواج. وفي هذه الفترة ت يريد أن تتعلق بأى قشة للنجاة. وفي حالتها غير المستقرة والمنفعلة عاطفيا يمكن أن يتقدم لطلب الزواج مستغل نهاز الفرص. وفي تسرعها وقلقها قد توافق. ولكن الخالق العالم بالنفوس (وليس محمد صلى الله عليه وسلم) يعلم حسابا لكل الشرك الذى قد يضعها الرجال. لذلك فهو يقول "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله".

وعدة الطلاق ثلاثة شهور ولكنها هنا يضيف أربعين يوما حتى تستعيد الأرملة توازنها ورباطة جأشها وفي نفس الوقت إذا جاءها عرض للزواج يكون لديها الفسحة لمناقشة الأمر على روية مع أصدقائها وأقاريبها. وفي هذه الحالة تستطيع أن تتجنب الأخطار

المستترة واتخاذ القرارات المتسرعة والتي تؤدي إلى
تطورات وعواقب مؤلمة؛

هل فكر محمد وعمل حساباً لكل هذه الأخطار
المتشعبية منذ أربعة عشر قرناً من تلقاء نفسه. هراء.
إنك تعطيه قيمة هائلة فوق طبيعة البشر. لقد أمر أن
يكرر مراراً وتكراراً أن هذه الحكم القرآنية ليست من
صنعته "إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى"
(سورة النجم: ٤ - ٥) .. إنها من عند الله الخالق
الرحيم وإذا كنت لاتزال تشكي في هذه الأدلة. إذا
فواجه التحدى... لقد أوحى اليه.

"قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً" (الإسراء - ٨٨)

لقد تحدى العالم أن يأتوا بكتاب مثل القرآن
الكريم ولم يأت أحد بمثله خلال أربعة عشر قرناً من

الزمان ولقد حاول البعض تقليد القرآن الكريم
فاستعاروا الجمل والكلمات وحاولوا تقليد الأسلوب
حتى بسم الله الرحمن الرحيم أخذوها محاولين أن
يخرجوا كتاباً مقدساً على طريقة القرآن ولكن
هيئات.

إن هذه المحاولة برهان آخر على أن القرآن لا يمكن
مضاهاته. حاول ماشت لكن التحدي يظل قائماً.
إن القرآن العظيم هو كلمة الله الموجة إلى محمد
صلى الله عليه وسلم وهو معجزة المعجزات.
وكم قال القس بوسويت اسمث
«وأى معجزة هو حقاً».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد ديدات

هذا الكتاب

- مفهوم المعجزة.
- دليلان على صدق الدعوة من عند الله.
- عبارات الثناء بعيدا عن الحقد.
- حوار مع علماء ملاحدة واثبات وجودية الله عز وجل.
- نظرية الانسطار الكبير.
- أصل الحياة.. وآيات الله.
- القرآن يحضر على تعلم العلوم.
- القرآن فريد في صياغته.
- القرآن كتاب البرقيات الاعجازية.
- امتحان حاسم لمصداقية الدين.
- الله عز وجل متفرد في صفاته.